روايات أحلام

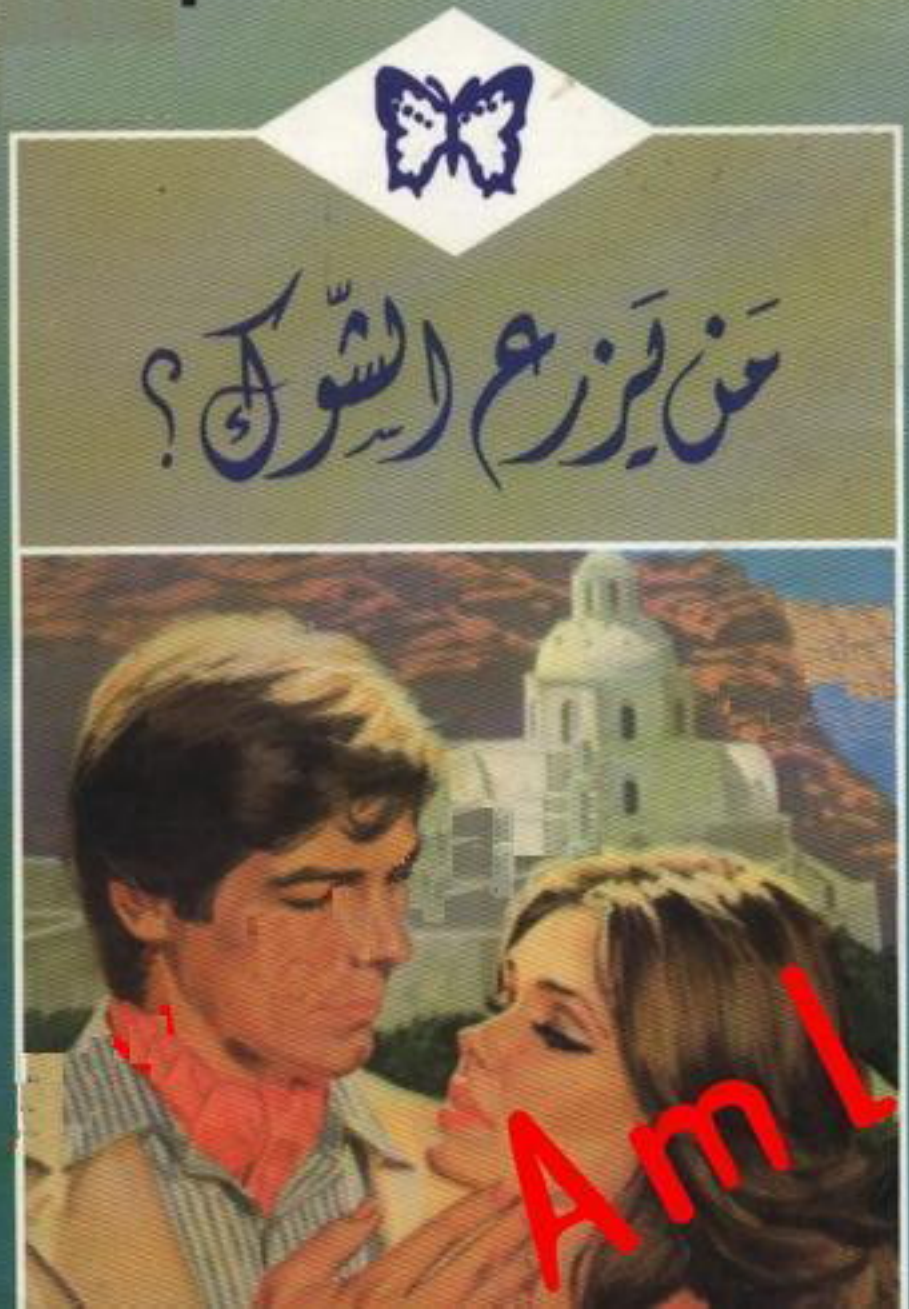

روايات أحلام

مَن يزرع الشوك؟

ماذا ينتظر فتاة انكليزية عندما تقرر خطف رجل يوناني في عقر داره؟ والأسوأ من هذا ماذا سيحدث عندما تخطف الرجل الخطأ؟ وعندما تنقلب الموازين فتصبح أسيرة الرجل الذي خطفته فأي قانون سيحكم؟

في قوانين اندريا بادولوس الخاصة تعتبر عملية خطفه جريمة لا تغتفر، وهو يحتفظ بكامل حقوقه في الانتقام... ولم تستطع كيرا أن تلومه، ولكن ما أقلقها أشد القلق هو كيف سينفذ انتقامه: هل يجعلها جاريته؟ سجينته؟ هل يعذبها؟ أم... يتزوجها؟!

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٦ د. مصر ٤ ج. ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س. قطر ٦٠٠ ر. المغرب ١٥ د. اليمن
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ١,٥ د. السودان
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٠ ر. عمان ٦٠٠ ب. العراق

١ ـ خطة كيرا

كانت كيرا رامتغتون في غرفة نومها، في الفندق المطل على الأكروبوليس في أثينا منكبة على لف علبة ضخمة من الشوكولا، في ورق مزيّن. كانت كارينا، إحدى رفيقتيها، منكبة أيضاً على لف هدية، فيما الفتاة الثالثة في المجموعة جالسة على طاولة الزينة، تثبت شريطاً أحمر كبيرا إلى باقة من الورد.

التفتت سامنتا مبتسمة: «ألن تفاجأ زوجي؟»

ومضت عينا كيرا الخضراوان

ـ بل ستذهل. فمع أننا تمكنا في كل سنة بعد تركناها أن نكون معها في عيد ميلادها، إلا أنها لن تتوقع أبداً أن نأتي هذه السنة، خاصة بعدما جاءت إلى اليونان لتعيش. لن تتصور أبداً أننا قادرات جميعنا على أخذ الإجازة السنوية في وقت واحد بغية أن نكون معها اليوم.

غرقت عينا كارينا في حلم الماضي:

ـ لا.. ما أشد ما كنا محظوظات نحن الثلاثة رغم يتمنا لأننا وضعنا في عهدة تلك المرأة الرائعة.

هزت سامنتا رأسها: كانت تغتاظ إذا ذكرنا لها عرفاننا بالجميل وكانت تقول: «فعلت هذا من أجل المال فعندما تركني زوجي مع الصغيرة ريبل تقدمت بطلب لتربية الأطفال لأعيل نفسي» وقالت إنها

فضلت ذلك على الخروج للعمل.

أنهت كارينا عملها، ووقفت مع رزمتها التي وضعتها تحت إبطها:

ـ على أي حال كنا محظوظات، لا شك في هذا. كانت امرأة رائعة من عدة أوجه. ما أشجعها لأنها تزوجت يونانياً وأتت للعيش في بلد أجنبي!

تذكرت كيرا أنها عرفت في أثناء زيارتها لمربيتها منذ عشرة أشهر، أنها التقت يونانياً عبر صديقة لها، وأنها تفكر بالزواج به، وقالت:

ـ لقد أذهلني هذا بكل تأكيد.

كانت السيدة مونرو قد قالت لكيرا:

ـ أحس بالحاجة إلى بعض المغامرة وأظن أن العيش في اليونان أمر مميز.

ـ تحسين بالحاجة إلى مغامرة! لكن يا حبيبتي، طالما كنت من المولعين بملازمة البيت.

ـ حسناً.. كان لدي أربع فتيات أقوم برعايتهن.

ـ عندما كبرنا وبتنا قادرات على العناية بأنفسنا لم تأخذي يوم عطلة.

ـ لم تعجبني قطّ فكرة أن تعودن من المدرسة فلا تجدنني في المنزل. والآن فلنعد إلى باولوس. أعتقد أن لدينا بالفعل أشياء مشتركة كثيرة، مع أنه غريب. وأحس أنني سأكون سعيدة معه.

عرفت كيرا أنها ستفتقدها، لكنها لم تذكر هذا لها:

ـ إذن تزوجيه بنجي.. ماذا عن ريبل، هل هي مستعدة للذهاب معك؟

ـ تعجبها الفكرة.

ـ وهل ستجد عملاً هناك؟

ـ وعدها باولوس بوظيفة.

كانت ريبل أصغر من كيرا بست سنوات ولم تكن يومذاك قد جاوزت السادسة عشرة، وهي الآن تعمل في مكتب زوج أمها.

قالت سامنتا مقاطعة أفكار كيرا:

ـ أظن أن الإقدام على الزواج بيوناني شجاعة منها. يقال إنهم يسيئون معاملة نسائهم.

ابتسمت كيرا: «أوافقك الرأي ولكنني رأيت بنجي في غاية السعادة ورسائلها شاهد على سعادتها حقاً. على أي حال.. من يستطيع أن يكون سيئاً مع امرأة محبوبة مثلها؟»

قالت كارينا:

ـ لا أحد.. هل أنتما جاهزتان؟ أكاد أموت شوقاً إلى رؤية وجهها عندما تفتح الباب فترانا واقفات فيه!

قالت كيرا حالمة:

ـ ستتسع عيناها كما يحدث عادة عندما يفاجئها شيء ما، ثم ستغطي الابتسامة وجهها وتضمنا نحن الثلاثة في آن واحد.

قالت سامنتا بصوت حنون:

ـ أجل.. فعلاً. ستتقبل بعد صيحة العجب وعدم التصديق هدايانا، وستغرورق عيناها بالدموع قليلاً. ثم تسألنا كيف تمكنا من المجيء. وحينما نخبرها، فستسألنا عما إذا كنا نستطيع فعلاً تحمل نفقات السفر، وعما إذا لجأنا إلى التقتير لنوفر المال.. إنها تصرّ دائماً على معرفة كل شاردة وواردة.

ـ السبب اهتمامها الأمومي بنا.

عبست سامنتا قليلاً: لم تمر ثلاث سنوات على مغادرة آخر واحدة منا عشها المريح.. لأن كل واحدة منا وجدت عملاً في جزء

مختلف من البلاد. لقد وضع هذا حداً نهائياً لذلك الوقت الجميل الذي كنا نقضيه معاً.

- أتقصدين بعدما تركنا المدرسة؟ وحصلنا على أول عمل لنا وقررنا البقاء مع بنجي؟

- هذا صحيح.. لكنها أصرت على أن نفتش على ما هو أفضل لنا، مع أنها عرفت أنها ستحزن لو تركناها. وكان أن تركناها في النهاية، واحدة واحدة، وكانت كيرا الأخيرة. أذكر أن بنجي قالت لها إنها سترميها إلى الخارج إن بقيت متعلقة بها أكثر.

هزت كيرا رأسها، تتذكر كيف قدمت أمام إصرار مربيتها طلباً للحصول على مركز ممتاز قرأته في الإعلان وكيف حصلت عليه، ثم قررت عدم القبول به والبقاء في البيت.

يومذاك قالت: «سأحتفظ بوظيفتي الحالية».

لكن مربيتها غضبت، وقالت إنها لن تسمح لها بالتضحية بمستقبلها من أجلها، فهي لم تربِ الفتيات الثلاث لتحتفظ بهن قربها إلى الأبد.. لقد أدت مهمتها وأرادت من كل واحدة منهن أن تصنع مستقبلها بنفسها بالطريقة التي تناسبها.

قالت كيرا أخيراً:

- كلنا ندين لبنجي.

وهزت الأخريات رأسيهما موافقتين، وأكملت:

- لقد كانت لنا أماً وأباً. لو أتيحت لي الفرصة يوماً في رد جميلها لما توانيت مهما كانت المخاطرة.

قالت الفتاتان بنفس واحد:

- ونحن معك كيرا، على مدى العمر.

ولم تكونا على معرفة أنهما على مقربة شديدة من هذا الوعد.

عبست كارينا بنفاد صبر، ثم أشارت إلى كيرا أن تنهي لفّ

هديتها.. فابتسمت كيرا التي رفعت هديتها حالما وضعت وردة فوق عقدة الشريط:

- أنا جاهزة كارينا.. أين حقيبتي.. شكراً سامنتا.. حسناً.. هل ننطلق؟

بعد نصف ساعة، كن واقفات على أعتاب فيلا جميلة، زرقاء وبيضاء اللون. ينظرن حولهن إلى الأزهار وأشجار النخيل المرتفعة النامية في الحديقة.

قالت سامنتا بصوت هادىء:

- أليست جميلة..؟ إنها كما بدت في الصور التي أرسلتها بنجي لنا..

رفعت كارينا اصبعها طلباً للصمت:

- هس.. أحد ما قادم!

توترت الفتيات الثلاث وحبسن أنفاسهن إثارة وترقباً.. أرجعت كيرا خصلة من شعرها إلى مكانها.. لقد أحبت بنجي لون شعرها منذ وقعت عيناها عليها.. يومذاك قالت إنه شعر بني أحمر ثم نظرت إليه تتلمس إحدى جدائله بيد مداعبة.. إنه بني أحمر، ولكن فيه أيضاً لوناً خمرياً يضيف إليه سحراً وجمالاً.

انفتح الباب إلى الداخل.. وفتحت السيدة تاكاليس التي اتسعت عيناها من فرط الدهشة.. لكنهما كانتا محمرتين متورمتين. تجمدت الابتسامات على شفاه الفتيات الثلاث.

- بناتي.. يا عزيزاتي!

لكن الدهشة لم تخف البكاء المتوارى خلف الكلمات. تبادلت الفتيات النظرات القلقة.

- من أين أتيتن؟ كيف وصلتن إلى هنا؟ استجاب الله دعواتي.

سألت سامنتا بلهفة: «دعواتك؟ هل من خطب؟»

التقطت السيدة تاكيس شفتها بين أسنانها لتمنع ارتجافها:

ـ إنه خطب جسيم. إنما أدخلن.. يا حبيباتي.. يا إلهي لماذا تركتكن واقفات هكذا؟

دخلت الفتيات إلى الردهة المفروشة بطراز عصري. ارتدت كيرا قاتلة، وعيناها على وجه مربيتها الدامعة العينين:

ـ ريبل.. هل هي مريضة؟..

ـ ليست مريضة، وليتها كانت كذلك. آه.. ها قد جئتن جميعاً.. في اللحظة المناسبة. كنت أقول لنفسي: «لو كانت الفتيات هنا لفكرن في حل خاصة فيكن كيرا ذات الأفكار البنّاءة في مواجهة المشاكل» كانت أفكارك دوماً غير عادية.. لكن، كلكن تعملن، أجل تعملن دائماً.. ولا أدري ما الحل الذي قد تجدنه في مثل هذه المناسبة..

قاطعتها كيرا بلطف:

ـ حبيبتي.. لم تقولي لنا بعد ما خطب ريبل.. هل هي في ورطة ما؟

هزت السيدة تاكاليس رأسها، ثم تخلت عن قلقها قليلاً عندما لاحظت الهدايا والزهور التي تحملها الفتيات، اغرورقت عيناها بالدمع وهي تقول:

ـ جئتن من أجل عيد ميلادي.. شكـ.. راً.. لكـ.. ن..

تبادلت الفتيات الأنظار وهن يشعرن بأن هداياهن في غير مكانها.. كررت السيدة تاكاليس، محاولة ادعاء المرح:

ـ شكراً لكنّ.. أدخلن إلى غرفة الجلوس.. باولوس الآن في المكتبة..

كانت كيرا عابسة بشدة.. فهي تعرف أن مربيتها مثقلة بالقلق والحزن.. قالت: «أخبرينا ما الخطب بنجي حبيبتي. نريد أن نعرف

حالاً».

ارتجفت شفتها، وانسلت منها شهقة نحيب:

ـ لكننكن.. بدت اللهفة على وجوهكن عندما فتحت الباب.. جئتن اليوم، مع أنني ما زلت أجهل كيف..

قاطعتها سامنتا: «أخذنا العطلة السنوية لنكون معك.. لقد وعدناك، ألا تذكرين؟»

ـ أذكر بكل تأكيد. لكنني لم أتوقع أن تتمكنّ من الوفاء بوعدكن، خاصة وأنا هنا.. في أثينا.

ـ هذا ما ظنناه، ولهذا ترين اللهفة على وجوهنا..

تلاشى صوت كارينا، وعضت شفتها، ونظرت السيدة تاكاليس إلى الهدية التي تحملها وأجهشت بالبكاء.

ـ لقد خططتن لكل شيء.. واشتريتن الهدايا.. وكل ما فعلته أنني أفسدت عليكن سعادتكن.. لماذا كان لزاماً أن يحدث هذا الآن؟

أخذت الزهور من كارينا باكية، تضمها إلى وجهها.. وتبادلت الفتيات النظر بتعاسة مجدداً، يفكرن كم يختلف هذا اللقاء عما توقعنه بلهفة.. وقالت تدعوهن مرة أخرى:

ـ أدخلن إلى غرفة الجلوس.

وسبقتهن إلى غرفة جميلة تطل على الحديقة الأمامية.. بعدما جلسن جميعاً قالت كيرا:

ـ الآن.. سنعرف أخبارك.

بدأت السيدة تاكاليس، بلا تردد:

ـ إن ريبل متورطة بعلاقة مع رجل متزوج، يزيد عمره عن الأربعين سنة. إنه يوناني. له ولدان من زوجته الثانية وأربعة من زوجته السابقة.

طأطأت رأسها تحدق إلى الزهور التي تضعها على ركبتيها..

وكانت كيرا تنظر إليها بتجهم.

سألت: «أتعنين أنهما على علاقة غرامية؟»

خرج الرد همساً مخنوقاً: «هذا ما قصدته.. كيرا».

طالما كانت بنجي ملتزمة بالمبادىء.. كانت تدس في عقول البنات في فترة مراهقتهن أن لا فائدة ترجى من إقامة علاقات قبل الزواج. أحست كيرا بغصة في حلقها:

ـ كيف عرفت هذا؟ لم تخبرك ريبل بالتأكيد؟

ـ لا.. لم تذكر أمامي الرجل حتى ذكرته أنا. عرفت بالأمر من شقيقة زوجته التي جاءت تخبرني أنهما يتجولان معاً، وأن فؤاد زوجته يتحطم بسبب ذلك. وطلبت مني أن أتدخل.. أن أمنع ابنتي من مقابلته.

رفعت السيدة تاكاليس وجهها، فاستاءت كيرا من التعبير الذي اعتلاه. فهي تشعر بالمهانة بسبب مجيء شخص إلى باب دارها ليخبرها أن ابنتها البالغة سبعة عشر عاماً على علاقة برجل متزوج.. تصاعد غضب كيرا، الذي بان في وميض عينيها الخضراوين وفي اللون الأحمر الذي علا خديها، وفي الضغط المفاجىء الذي ظهر على شفتيها. تبادلت الفتاتان النظرات.. هل كانت كيرا على شفا إحدى نوبات غضبهاالنادرة؟

ـ وواجهت ريبل.. كما هو واضح؟

ـ فوراً! أسفت لأنها آلمتني.. لكنها رفضت التخلي عنه..

قاطعتها سامنتا التي عبست بشدة:

ـ ألم تشيري إليها أن لا جدوى من مثل هذه العلاقة؟

ـ لم تصغ إلى ما قلته سامنتا.. إنها مفتونة بالرجل ومتعلقة به، وهذا ما يصيب الفتيات عندما يثير اهتمامهن رجل في مثل هذا العمر.

سألت سامنتا: «ألم تشعر بالخجل؟».

هزت السيدة تاكاليس رأسها نفياً:

ـ أبداً.. ولم أصدق أنني أكلم ابنتي، لقد أجابت على ما قلته بكل وقاحة، وقالت إنه رجل رائع، تسيء زوجته فهمه.

صاحت كيرا باشمئزاز: هي الرواية المعروفة! إنها مستخدمة منذ أيام آدم! يا للرجال! لماذا يلجؤون دائماً إلى هذا العذر الأعرج؟ ألا يستطيعون مواجهة واقع فشلهم؟

وقفت، فبدت مخيفة. كانت عيناها تومضان كقطعتي نحاس أخضر مصقول وقبضتاها تشتدان بقوة. إنها سريعة الغضب الذي كان مكبوتاً الآن، لأن لا أحد أمامها تستطيع صب جام غضبها عليه. عادة هي باردة هادئة ولكنها كانت دائماً القوة الشرسة والدعامة التي تستند إليها بنجي في المناسبات التي تحتاج فيها إلى الدعم! أخيراً قالت وهي تراقب وجه مربيتها.

ـ لم تخبريني كل شيء.

ـ لا.. ليس كل شيء بالتأكيد.

وتوقفت الكلمات، لتتدفق الدموع، ثم:

ـ لقد وجدت رسالة لتوي، في جيب أحد فساتينها، الذي كنت على وشك أن أغسله. وهي مسودة رسالة كتبتها لذلك الرجل ليونيدس، وعلى ما يبدو أنها نسيت أن ترميها. لا بد أن الرسالة في طريقها إليه الآن.

توقفت مرة أخرى، وابتلعت كيرا غصة في حلقها وهي تراقب الدموع تنهمر على وجه مربيتها الشاحب.

ـ لقد وافقت ريبل على الهرب معه.. سيهربان مساء الثلاثاء.

قاطعتها كارينا: «أوافقت ريبل على الفرار معه؟.. إنه رجل في عمر والدها، هل تنوي قضاء ما تبقى من عمرها معه؟»

قالت كيرا قبل أن ترد السيدة تاكاليس:

- وزوجك.. ألا يستطيع منع ذلك؟

- إنه يجهل الموضوع كلياً كيرا.. لم أجرؤ على إخباره. إذ يعتبر تصرف كهذا من قبل فتاة يونانية فضيحة كبرى.. سيذعر باولوس إن عرف أن ابنة زوجته المفروض بها الطهارة تقيم علاقة مع رجل متزوج. ستكون صدمة شديدة عليه، ستؤثر في النهاية في زواجنا مع أننا سعيدان.

قالت كيرا بسخط: «لا يمكنه لومك أنت!»

- لا.. لكنه سيتأثر كثيراً. سيفكر في الفضيحة وفي أصدقائه وزملاء عمله.

قالت كيرا أخيراً: «هل لنا أن نرى الرسالة؟»

كان عقلها يعمل بسرعة، ولكنها لم تجد وسيلة لمنع الهرب..

أضافت: «إن كنت لا تريدين منا أن نراها فلا تخافي من قول هذا».

وقفت السيدة تاكاليس ونظرت إلى وجه كيرا المتجهم بعناد:

- بل أريد ذلك.. هل.. فكرت في حل ما لإيقافهما؟

- ليس بعد.

قالت بثقة: «لكنك ستجدين؟»

- سأحاول.. إنما يا حبيبتي، أرجو ألا تغرقي بالأمل.

هزت بنجي رأسها، وخرجت، ثم عادت بعد لحظات ومعها الرسالة التي ناولتها إلى كيرا. وقفت الفتاتان وراء كتفها لتقرآها معها.

قالت سامنتا بعد ما فهمت محتويات الرسالة:

- حسناً.. يبدو أن ريبل عازمة على الهرب مع هذا الرجل.

صاحت كارينا: «كيف لها أن تفعل هذا بك؟ ماذا دهاها!»

قالت الأم: «كانت دائماً عنيدة».

تمتمت كيرا، وكأنما لنفسها:

- في الرسالة أمر بارز.. تقول إنها لن تكلمه مرة أخرى إن خذلها.. وهذا يعني أنها غير واثقة منه كلياً.. أليس كذلك؟

- لقد فكرت التفكير ذاته إنما ليس من الرسالة.. فعندما واجهتها بشأن هذا الرجل، رفضت التخلي عنه، ولكنها بدت طوال الوقت مضطربة، ولم أجد سبباً لذلك إلا أنها غير واثقة به.

قرأت كيرا الفقرة الأولى في الرسالة:

«سآتي معك حبيبي ليونيدس.. لم يكن هناك أدنى شك في تفكيري، لكن، كما قلت لك، كان علي أن أفكر ملياً.. أنا أحب أمي، وأكره أن أؤلمها. ولكنها تستطيع التغلب على هذه الأمور. سنعيش في ذلك المنزل الذي اشتريته في «سبارتا» ولن يعرف أحد أننا غير متزوجين.. سأكون في فندق «الامبريال» في الساعة السابعة مساء الثلاثاء، وستكون أنت في المرسيدس السوداء. أعرف أنك ستكون هناك قبلي، لذا أرجو منك أن تترك السيارة مفتوحة لأتمكن من الصعود إليها.. أعرف أنك تفكر أنني سخيفة.. لكن الأنوار التي ستكون أمام الفندق تخيفني.. وطالما أخافتني عندما كنا نقصد ذاك المكان للعشاء والرقص، فهناك كنا نبدو هدفاً لكل عين متطفلة.. ولكن في الداخل، الأنوار كلها خافتة أليس كذلك؟ هكذا لن أشعر بالخوف.. كن هناك ليونيدس، فإن خذلتني فلن أكلمك أبداً..».

طوت كيرا الرسالة ببطء لأنها لم ترغب في قراءة المزيد.. تمتمت مفكرة، تسأل بنجي:

- لكن، هل أنت واثقة بأنها أرسلت هذه الرسالة إلى ذلك الرجل؟

- إنها ذاهبة معه كيرا.. أرسلت كل ثيابها إلى التنظيف في

المصبغة.. واشترت ملابس داخلية وملابس نوم شفافة وإلى ما ذلك من أمور. تخبئها في صندوق تحت سريرها، ولكنني اكتشفتها.

قالت سامنتا: «يا له من موقف لعين! الرجل بحاجة إلى الضرب. أو الخطف، أو أي شيء آخر».

ران صمت، التفتت على أثره كيرا نحو صديقتيها ثم تمتمت:

ـ ماذا قلت؟

ـ يجب أن يعاقب بطريقة ما، وهذا ما سيمنعه من إكمال خطة الهرب. آه لو كنا رجالاً!

ظلت كيرا تنظر إليها وفكرة ما تتبلور في عقلها وتطل من بين أفكارها المبهمة. سألت صديقتيها بهدوء:

ـ ماذا كنا لنفعل لو كنا رجالاً؟

قالت سامنتا مرتبكة: «كان بمقدورنا عندئذ استخدام القوة مع الرجل.. لا أقصد بذلك الضرب بل إرهابه وتهديده أو نلكمه على أنفه لو استدعى الأمر».

قالت كيرا، إنما لنفسها:

ـ أو نخطفه.

إن منعن الرجل من القدوم إلى ذاك المكان على الموعد فستعتبر ريبل ذلك خذلاناً من قبله. وإن كانت تقصد ما تقول فلن تكلم الرجل بعدها أبداً.. نعم سيقول لريبل في النهاية إنه اختُطِف ولكنها لن تصدق ذلك بل ستضحك على هذا التفسير بهزء.

قالت معترفة فيما بعد لصديقتيها:

ـ أعرف أن الخطة غير كاملة. ولكن ما دمنا لا نملك خطة أخرى فلنجرب.

هكذا بقيت الفتيات الثلاث مع مربيتهم حتى منتصف الليل.. التقين بباولوس وأحببنه كثيراً، وبدا هو أيضاً معجباً بهن.. تحدثن

مع ريبل عندما وصلت إلى البيت، وتصرفن وكأنهن لا يعرفن شيئاً عن علاقتها بالرجل اليوناني.. ومكثت في المنزل ذلك المساء، وهذا يعني أنها لن تلتقيه حتى يحين أوان السفر إلى «اسبارطة» في سيارته المرسيدس السوداء. وهي سيارة غير متواجدة كثيراً.. فالناس يفضلون هذه الأيام ألواناً أكثر إشراقاً.

أخيراً، جاء دور تحيات الليل والأمنيات، وكانت الفتيات أمام باب القيلا يقلن بضع كلمات لبنجي، التي قالت أولاً:

ـ أعرف أنكن توصلتن إلى شيء ما. أعرف هذا من تعابير وجهكن.

فأجابت كيرا بصوت مصمم متجهم:

ـ لدي خطة في رأسي بالتأكيد.. وهي قابلة للتنفيذ.. باختصار أخطط لإبعاد الرجل عن مكان اللقاء فتعتقد ريبل أنه تخلى عنها وعندئذ تقرر الابتعاد عنه إلى الأبد، هذا إن كانت صادقة في قولها إنها ستتركه إن خذلها. لا يا حبيبتي. لا أسئلة أخرى ومع أننا نحب أن نكون معك غداً، وفي كل يوم نقضيه هنا في الإجازة ولكن هذا مستحيل في الظروف الراهنة. فالتحضير للخطة معقد. إذ ليس لدينا وقت طويل.

ـ باركك الله! أعرف أنكن ستفكرن في حل يا حبيبات قلبي!

ونظرت إلى الفتاتين الأخريين:

ـ عرفتما أنها تحضر شيئاً.. أليس كذلك؟

هزتا رأسيهما إيجاباً، وقالت سامنتا: «أتحرق شوقاً لأعرف ما هو».

لكنها عندما عرفت عبرت عن شكوكها بشأن قدرتها على تنفيذ الخطة بنجاح، وهذا ما كان عليه رأي كارينا أيضاً.. بينما وافقت كيرا أن خطف رجل ليس بأمر هين خاصة وهو حسب قول بنجي

أطول من الحد المعروف وأقوى بنية أيضاً ولكن كيرا كحالها دائماً كانت شديدة الثقة بنفسها، وعلى أية حال، هن ثلاثة، كما قالت للصديقتين.

كررت هذا لصديقتيها وهن جالسات في زاوية صالون الفندق بعد ليلتين، يراجعن تفاصيل الخطة:

- نحن ثلاثة ضد واحد، وليست أية واحدة منا ضعيفة. قد أبدو هزيلة ولكنني لست هكذا أبداً!

قالت سامنتا:

- هل أشتري لكما شيئاً؟ كارينا، شاي كالعادة؟

- رائع، شكراً لك.

لكن كيرا فتحت دفتر ملاحظاتها على الطاولة أمامها. وقالت:

- ليس الآن شكراً سامنتا.. أحتاج إلى صفاء ذهن لأنهي هذه المسألة.

سجلت شيئاً ثم قالت:

- أصعب جزء من الخطة هو تسجيل صوت رجل على شريط، إذ كيف لنا أن ندفع رجلاً إلى القول: «قُد السيارة ولا تدر رأسك».. فأنا لم أفكر في شيء لأنني لم أعرف حتى الآن الطريق من الفندق حتى ذلك الكوخ الذي استأجرناه. يجب أن نستيقظ غداً عند الفجر، ونستأجر سيارة تقلنا إلى هناك في أقصر طريق.

قالت سامنتا عندما اقترب الساقي منهن:

- أتعرفين.. لا أظن أن هذا الساقي يتلقى راتباً جيداً في مثل هذه الفنادق.

عبست كارينا: «لا تبتعدي عن الموضوع سامنتا.. نحتاج إلى ثلاثة أدمغة تفكر طوال الوقت».

أضافت سامنتا ممازحة: «إن هذه الطبقة في اليونان ساذجون،

ساذجون. يصدقون أي شيء.. وإذا كان هناك شيء...»

صمتت لدى وصول الساقي.. كشفت ابتسامة عريضة عن صف من الأسنان البيضاء وذلك عندما رأى قيمة البقشيش الذي استلمه وقال:

- شكراً لك مدام.. شكراً كثيراً..!

أرادت كارينا أن تعرف ما الذي يحصل.

- ماذا يجري..؟ منذ متى وأنت قادرة على إعطاء بقشيش كهذا؟

تمتمت كيرا: «هل لديك فكرة؟ هيا إلينا بها سامنتا».

- لو قلنا لهذا الرجل، إننا ممثلات هاويات من انكلترا وإننا عند عودتنا سنؤلف مسرحية عن مكان يوناني، وإننا بحاجة إلى صوت رجل يتكلم اليونانية. هل أنا بحاجة إلى التوضيح؟

قالت هذا بصوت يتأرجح بين النصر والفخر.

تهلل وجه كيرا: «سامنتا.. أرفع لك قبعتي احتراماً! سأحتسي فنجان شاي وأستمتع به!»

* * *

٢ ـ اسمعني فقط!

بعدما أتممن كل الخطط وراجعنها ودرسن العملية وحفظنها غيباً جلست الفتيات الثلاثة في غرفة نوم كيرا يراجعن الخطوات لآخر مرة قبل التنفيذ الحقيقي.

أعلنت كيرا بثقة: «هل تأكدتما إن كانت بنجي ستوصل الرسالة الصحيحة إلى ريبل؟ أكره أن يفسد أمر صغير مثل الرسالة خططنا، إذ ترتبك بنجي في بعض الأوقات.. ماذا ستقول لريبل بالضبط؟ هل طلبتما منها تكرار ما طلبتماه؟»

ـ أجل، وكتبت ما قالت.. سأحضر لك الورقة.

وقفت سامنتا لتحضر الرسالة التي كانت مكتوبة باختصار، وقرأتها كيرا: «اتصل رجل هاتفياً بعد الظهر وطلب مني أن أنقل إليك رسالة. لم يذكر اسمه، لكنني أعتقد أنك تعرفينه.. طلب مني أن أقول لك إنه لن يستطيع المجيء في الساعة السابعة بسبب انشغاله بأعمال مفاجئة. لذا سيكون الموعد في الثامنة. ثم قال إن عليك ألا تتصلي به مهما حصل.. فاعتقدت أنها رسالة غامضة وقلت له هذا، وطلبت منه توضيحاً ولكنه لم يفعل. بل اكتفى بالقول بأنك ستعرفين ما يعني.. الثامنة لا السابعة.. أعتقد أنه موعد عشاء مع ذلك الرجل الكريه.. وأتمنى لو تتخلي عنه ريبل».

ابتسمت كيرا ابتسامة رضى:

ـ هذه هي الكلمات التي ذكرتها لها عندما كلمتها هاتفياً. هل طرحت أية أسئلة؟

ابتسمت سامنتا: «بدأت بطرحها ولكنني قلت لها إنني مستعجلة وأقفلت السماعة. يا لحبيبتي المسكينة!»

قالت كيرا بفظاظة: والآن.. سنبدأ بقيادة السيارة المستأجرة إلى جوار فندق امبريال في السادسة والنصف..

أوقفت كيرا السيارة بين سيارتين أخريين، وأطفأت المحرك:

ـ سنقف هنا، وهو مكان هادىء قريب من حيث نتوقع أن يقف ليونيدس.. أتساءل إن وصل أم لم يصل حتى الآن.

خرجت الفتيات الثلاثة من السيارة، وجمعن ما هو مطلوب، ثم أقفلن الأبواب بالمفتاح.

تمتمت كيرا: «أحس أنني مجردة من أي إحساس».

التقطت عينها السيارة السوداء الكبيرة المتوقفة في مكان غير بعيد، فقطبت:

ـ هل هذه هي؟ اعتقدنا أنه سيقف تحت هذه الأشجار، حيث طلبت ريبل منه الوقوف.

قالت سامنتا، بصوت مرتعش قليلاً:

ـ إنها هي.. مرسيدس سوداء.. الواضح أن ليونيدس لم يستجب لرغبة ريبل بالخلوة التامة.

اتجهت كيرا إلى السيارة والصديقتان وراءها: أستغرب.

كانت ترتدي بنطلوناً أسود وكنزة سوداء أيضاً، أما الفتاتان الأخريان فكانتا ترتديان ملابس عادية. بالأمس عاينّ المكان فسررن لانزوائه. بدا المكان مثالياً للقاء هروب، مع ذلك، لم يتوقف ليونيدس هناك.. لكن على أي حال، ليس هناك أضواء في أي مكان قريب، واختلست كيرا النظر إلى داخل السيارة ثم قالت إن كل شيء

سيكون على ما يرام، وإن أحداً لن يراها.

بعد أربع دقائق دخلت كيرا إلى السيارة حيث وجدت موقعاً مريحاً لها، فأمامها نصف ساعة من الانتظار. دثرتها صديقتاها بحرام أسود. كانت ترتدي قبعة سوداء على رأسها، وكان شعرها الأحمر رازحاً تحتها وفي يد حملت آلة تسجيل صغيرة، وفي الأخرى قطعة خشب صغيرة.

همست كارينا، وقد اضطربت الآن فعلياً:

- هل أنت على ما يرام؟ ألست خائفة؟

ضحكت كيرا: «خائفة؟ لم أخف قط في حياتي!»

- فلنفترض أنه شاهدك هنا؟

- سيرميني إلى الخارج.. وسأركض بأسرع ما تحملني إليه ساقاي.. لكن فلننسى فكرة حدوث الفشل كارينا.. يجب أن ننجح، من أجل بنجي!

قالت سامنتا بقلق: أليس من الأفضل أن نبقى هنا إلى أن يصل؟ قد نجلس في السيارة.

- لا.. هذا مستحيل.. يجب أن تكونا في الكوخ لدى وصولنا.. ومن الأفضل أن تتحركا حالاً خشية أن تضيعا الطريق.

- أجل.. إنه مكان معزول، قد يموت الرجل إن تركناه هناك، فأنا واثقة أن لا أحد يصل إلى ذلك المكان الموحش.

صفقت سامنتا باب السيارة من جهتها، وقالت كارينا من الجهة الأخرى:

- حذار أن تضيعي أنت الطريق.. فمن الخطورة أن تبقي مع ذلك الرجل الوغد لحظة أطول من اللازم.

وعدت كيرا: «سأكون حذرة.. لقد رسمت خريطة للطريق كلها في رأسي، ولن أضيع».

- إلى اللقاء إذن.. وحظاً سعيداً!

أقفل الباب.. ران صمت رهيب في السيارة. سمعت السيارة التي استأجرتها تنطلق، ثم ابتعد صوت المحرك.. رقدت جامدة، تريح عضلاتها ولكن تفكيرها لم يستكن أو يهدأ. ما إن يصبح ليونيدس خلف المقود ستجبره على القيادة حتى الكوخ المعزول الذي استأجرته مدة أسبوع لأن وكيله لم يقبل بتأجيرهن إياه مدة أقصر من ذلك.. ما إن يصل إلى هناك حتى يقفلن عليه في الغرفة التي حضرنها له. لم يكن هناك أقفال على باب الغرفة ولكن الفتيات وضعن له قفلين ضخمين من الجانب الخارجي، واحد في أعلى الباب والآخر في الأسفل. ووضعن له الطعام والماء.. سيبقى سجيناً هناك مدة أربع وعشرين ساعة على الأقل، مع أن كارينا أرادت إبقاءه مدة أطول ليثبط ذلك عزمه.

توقفت أفكارها فجأة إذ انفتح باب السيارة، ووجدت نفسها تحبس أنفاسها.. إنها مسألة لحظات قبل أن يستوي الرجل إلى المقود.. عبق أنف كيرا بأجمل رائحة.. ولكنها لم تسمع صوتاً من الرجل.. ماذا يفعل؟ هل هو دهش لأن ريبل لم تصل؟ قالت إنها ستنتظر في السيارة..

شهقت شهقة قصيرة صامتة لأنها سمعت المحرك يدور، وما هي إلا لحظات حتى تحركت السيارة.. إلى أين يتجه الرجل؟ فهو لم ينتظر ريبل ولو دقيقة واحدة. خاصة والساعة لا تبلغ السابعة.. أصبحت السيارة على الطريق، قبل أن تبدأ التحرك، أصيبت بدهشة كبيرة، ولكنها سرعان ما لملمت جأشها.. رفعت نفسها بهدوء حتى جلست على أطراف المقعد ثم وضعت آلة التسجيل على ركبتها لتبقى بعيدة عن مجال المرآة الداخلية.. دفعت قطعة الخشب بين كتفي الرجل وشغلت المسجلة التي تعالى منها صوت ذو لكنة غريبة:

- لا تتكلم أو تدر رأسك، اتبع التعليمات التي سأذكرها لك. إن تكلمت فلن أجيبك.. رحلتنا غير طويلة.. نصف ساعة تقريباً.

ارتجف الرجل، أتراها رعشة دهشة أم رعشة ارتباك؟ لا شك أن ليونيدس جبان، ولكنه برأيها أبعد ما يكون عن الخوف.

- استدر يميناً هنا، وتابع المسير نصف ميل، ثم استدر يساراً عند مفترق الطرق.

سار كل شيء بسهولة لا تصدق، وما إن انعطفت السيارة الكبيرة إلى الطريق الريفية الضيقة التي تقود إلى الكوخ حتى شاهدت الأنوار تتسلل من إحدى نوافذه.. فهمست لنفسها مهنئة:

- نحن بارعات.

أوقف ليونيدس السيارة في منتصف الطريق الريفية.. كانت الطريق من هنا حتى الكوخ لا تزيد عن ثلاث أقدام عرضاً..

همست كيرا لنفسها:

- كم سيشعر بالغباء عندما يرى آلة التسجيل وقطعة الخشب الصغيرة.

بعدما ترجلا من السيارة صاح الصوت من آلة التسجيل:

- تابع سيرك، وإياك أن تدير رأسك. فأنت محاصر من داخل الكوخ أيضاً!

لم يصدر صوت عن الرجل.. ومع أن الأوامر فرضت عليه عدم التكلم فإن من الغريب ألا يطرح حتى الآن أي سؤال خاصة وهما على وشك الوصول إلى حيث تريد.

إنهما يسيران على الطريق.. ستكون الفتاتان على جانبي الباب، على استعداد لإيقاعه أرضاً إن حاول المقاومة. بدأ قلب كيرا يخفق بسرعة، فهذا الجزء الوحيد الذي كان بالإمكان مراجعته وحفظه غيباً. أملت أن يدخل الرجل بخضوع إلى الغرفة التي أعددنها له،

وما إن يصبح هناك بأمان حتى تسترحن ولكن إن قرر المقاومة فعليهن الثلاثة إخضاعه.

تباطأت خطوات الرجل، فدفعته كيرا بالعصا الصغيرة.. ارتعش مرة أخرى ولكنها أحست بهذا ولم تره.. وأحست بأنه غاضب.. هذا أمر طبيعي.. نظرت أمامها إلى البركة الصغيرة التي تبلغ ضفتها حافة الطريق.. وخلف البركة شجرة كستناء ضخمة.. تباطأت خطوات الرجل مرة أخرى.. قرب البركة، هناك استدارة في الطريق تخفي أنوار الكوخ للحظة.. ولم يكن في آلة التسجيل المزيد من التعليمات، وبما أنها لا تستطيع إعطاء أية تعليمات بصوتها، ظلت كيرا تدفع العصا في ظهر الرجل.. ما أصعب ألا تتكلم! لم تدرك سابقاً هذا. إنها تتحرق شوقاً إلى أن تأمر ليونيدس بمتابعة السير! أصبحا على محاذاة البركة. حبست كيرا أنفاسها لأن رائحة البركة نتنة.. لا شك أن بعض العشب النامي في الماء قد فسد. تساءلت لماذا لا يأتي أحد لينظفها.. ما أشد عتمة المكان الآن فأنوار الكوخ توارت.. وهذا ما جعلها تعطي ظهر الرجل وكزة قوية.. فهو يبطيء سيره قصداً.

فجأة انقطعت أفكارها لأنها تلقت لكمة قوية على وجهها.. وأحست بأنها تتراجع مترنحة إلى الوراء نحو البركة الصغيرة مباشرة، وأحست برأسها يصطدم بالشجرة ورأت النجوم منعكسة على سطح البركة.. ثم هبط عليها ظلام.

آه! رأسي..!

فتحت كيرا عينيها وتركت نظرها المغشي يجول في الجدران البيضاء، والكوة. أين هي؟ وضعت يداً على مؤخرة رأسها.. يبدو الانتفاخ بحجم كرة قدم.. انفتح الباب ووقف رجل هناك:

- ماذا حدث؟

إنه رجل طويل نحيل قوي المظهر.. بل هم ثلاثة رجال.. لا.. بل رجلان فقط.. بدأت تدعك عينيها ثم صاحت بألم: من أنت؟

نظرت إليه مركزة النظر.. أجل.. إنه واحد..

ـ أنا الرجل الذي أعطاك عيناً سوداء.

ـ الرجل..

لامست كيرا بتردد عينها اليسرى، وبدأت تتذكر.. هل عينها مصابة؟ غطت العين الأخرى ووجدت أنها لا ترى شيئاً. كان خدها متورماً كذلك، وفمها مصاب أيضاً، فقد أحست بشفتها متورمة. لا شك أن الضربة امتدت من فمها إلى عينها فصدغها. نظرت إليه بعينها السليمة:

ـ ليونيدس..

يتجاوز الأربعين؟ لا يتجاوز عمر هذا الرجل الثلاثين مع أن هناك بعض الشيب على فوديه.

ـ أنت ليونيدس؟

أحست أن أحاسيسها تخلت عنها مجدداً:

ـ ماذا..!

تورد وجهها بشدة.. وعادت تنزلق إلى الأسفل رافعة الأغطية حتى ذقنها:

ـ أين أنا؟

ـ في السرير.

في صوته رنة تسلية، يشوبها بعض التجهم أيضاً.. كانت عيناه الضيقتان تنظران إليها بطريقة غريبة تثير الاضطراب.

ـ اشرح لي ما الذي حدث بالضبط!

تمكنت حتى في حالة ضعفها هذه من وضع التعالي في

لهجتها.. أضافت: «الواضح أن الموازين انقلبت..»

ـ انقلبت كلياً.

فجأة بدا لها مختلفاً.. اختفت لمحة المرح ورأت أمامها رجلاً يلتوى فمه بأبشع طريقة وتومض عيناه بشر صرف. ويا لهما من عينين شديدتي الاسوداد!

ـ أنت.. مجرد أنثى.. تجرأت على تهديدي! رحت تلكزينني بمسدس في ظهري! قسماً بالله يا فتاة إنك ستدفعين ثمن هذا غالياً! أجل.. انقلبت الموازين.. ولو كنت تعرفينني جيداً لراقبت خطوتك بحذر كبير.. ما من أحد، رجل كان أم امرأة، وكزني في ظهري ونجا بفعلته.. سأجعلك تصرخين طلباً للرحمة مراراً ومراراً قبل أن أنتهي منك! أيتها المحتالة الصغيرة. أنت محتالة من الدرجة الثالثة!

كان قلب كيرا قد خفق بشدة حين بدأ الكلام وأخذ الآن يضج وينخر عظام صدرها.. لقد تفاخرت مؤخراً أنها لم تخف قط. قالت: «أردت تدمير حياة شخص أعرفه».

ثم صمتت.. لأن عقلها غير صاف أبداً.. لكنها أدركت أن شيئاً خطراً وقع.. راحت قشعريرة غريبة تخز عنقها، ثم سرت على طول عمودها الفقري.. ليس هذا الرجل بوالد لستة أولاد، ولا يبلغ الأربعين من العمر. إن جو التفوق فيه لا يتوافق أبداً مع الصورة التي كونتها عن حبيب ريبل..

سألت مترددة:

ـ هل.. أنت.. ليونيدس؟

ـ ليونيدس من؟ اسمي بادولوس.. اندريا بادولوس.. لكنك تعرفين اسمي! لقد عرفت أنت وزملاؤك في المؤامرة كل شيء عني قبل التخطيط لاختطافي. أجل، عرفت كل شيء عني، فما أنا بأول رجل أعمال يختطفه قطاع الطرق!

- قطاع الطرق؟

يا له من تعبير شرير كريه.. رفرفت كيرا عينها السليمة لأن كل شيء بدأ يبتعد عن نظرها. لقد عاد التخبط إلى رأسها ودفعها إلى الغثيان.. وها هي تنزلق إلى مكان ما..

- لا.. لا علاقة لما حدث بقطاع الطرق.. كنا نسعى إلى ليونيدس.. كان سيهرب مع ريبل.. لا.. سيد بادولوس.. لست أنت من نريد.. أنا آسفة جداً على الإزعاج.

يجب ألا تغيب عن الوعي مجدداً.. قاومت بشدة لتتماسك. يبدو هذا الرجل خطراً، قد يصيبها شيء خطير إن لم تكن حذرة.. رفعت رأسها عن الوسادة وحركته من جانب إلى آخر على أمل أن تجلوه ولو قليلاً ولكن أخذت أنصال سيوف تنفذ إليه، تأوهت بعذاب: «رأسي...»

نظرت متوسلة إلى الرجل الواقف بالباب.. وكان وجهه الأسود قناعاً من التجهم، والتعبير في عينيه تعبير ملؤه الازدراء:

- أعاني من ألم فظيع.. لا أستطيع التفكير..

قال بقلب قاسٍ: «سيزول الألم مع الوقت».

وحاول تركها ولكنها صاحت:

- يجب أن تصغي إلي! أنا بريئة...

- بريئة..

- أجل.. ابق أرجوك سيد بادولوس، واسمح لي أن أشرح لك.

صمتت لحظة، ونظرت إليه مرة أخرى متوسلة، ولكنها لم تدرك أن وجهها كان بلا شكل بسبب الضربة التي تلقتها من قبضته، وليس ذلك فحسب بل هي تبدو قبيحة. فمها وخدها متورمان.. عينها سوداء وزرقاء وحولها تورم، وفوقها تماماً جرح ملتهب تجمد حوله الدم.

- أرجوك كن صبوراً، فعقلي على وشك التخدر من جديد. ولكنني لن أتكلم بغير الحقيقة.

سحب نفساً ملؤه السخط فجعلها تتابع بلهفة.

- ليونيدس الذي تكلمت عنه له علاقة غرامية مع ابنة مربيتي التي هي بمثابة أمي. كانا ينويان الهرب. إنه متزوج وله ستة أولاد..

صمتت عندما لاحظت الالتواء الساخر الذي حل مكان الشر على فمه. وقال ساخراً:

- ستة؟ أتساءل لماذا يجب دائماً أن يكونوا ستة؟

- لديه ستة.. هذا ما سمعته بنجي عنه.. بنجي هي أمي التي ربتني..

رفع حاجبيه قليلاً، فاندفعت تتابع سرد قصتها وهي تتلعثم بين الفينة والأخرى بسبب موجات الألم الذي كان يعصرها.. وما إن وصلت إلى النهاية حتى وجدت آمالها تغوص فهذا الرجل لا يصدقها فحسب بل يحتقرها لأنه يظنها تختلق هذه الرواية غير المقنعة. رأت ذلك جلياً في عينيه قبل أن يتكلم.

- يا لها من محاولة ضعيفة هزيلة لتبرئة نفسك. كان بإمكانك حتى وأنت في حالتك الحاضرة، التفكير بما هو أشد إقناعاً.. صحيح أنها لن تنجح، إذ لا شيء تقولينه قد يساعدك.. ستمر بك أوقاتاً عصيبة مع انتهاء هذه الرحلة، حيث سآخذك إلى منزلي.

خفق قلبها بشدة: «أين أنا؟»

- أنت على متن يختي.. ونحن في طريقنا إلى جزيرة «كوس» حيث أعيش.

رددت: كوس؟ لكن ما الهدف من اصطحابي إلى هناك؟

وفشل عقلها في التفكير مجدداً، وقد أنهكه الألم.. ليتها تستطيع إبقاء رأسها صافياً! قد تستطيع إقناع الرجل بأنها لم تسعَ إلى

خطفه هو، وإن تمكنت من هذا أعادها إلى «بيراكوس» وهو الميناء الذي انطلق منه.

سمعته يقول: ستدفعين ثمن جرأتك على تهديدي.. قلت لك هذا. في البداية فكرت أن أترك أمرك للشرطة.. ثم عدلت عن ذلك لأن لا نية لدي في المعاناة من ذل الاعتراف بأن امرأة أسرتني..

صمت ثم دخل إلى عينيه أبشع وميض. تساءلت كيرا ألن يستعيد وعيه من الإذلال الذي عاناه على يدها؟

أضاف: «وبما أنني لن أدعك تذهبين حرة، قررت أن أعطيك جرعة من دوائك.. سأخطفك..»

قاطعته يائسة، والأفكار تتدافع إلى رأسها:

ـ عليك أن تصغي إليّ!

امتزج شعور بالخطر مع عدد من التصورات، لهذا الموقف الرهيب الذي زجت نفسها فيه.

ـ ستصاب مربيتي بالذعر، وبذلك ستصاب أيضاً صديقتاي اللتان كانتا في الكوخ..

ـ تقصدين زملاءك في المؤامرة؟ أظنهم فروا ونسوا أمرك.

ـ نحن هنا في إجازة، كما قلت لك.. آه.. أرجوك سيد بادولوس، أصغ إلي فقط، وكن مستعداً لتصديقي.. أعرف أنك غاضب بسبب ما حدث ولا أراني قادرة على سوى الاعتذار. أطلب منك أن تكون متفهماً و.. متسامحاً.

توقفت كيرا فجأة عندما لوّح يده بازدراء:

ـ لن أصغي إلى شيء.. أعرف ما كنت تنوين فعله أنت وعصابتك الصغيرة القذرة. لقد وضعتن أعينكن الجشعة على المبالغ المذهلة التي دفعت مؤخراً فدية لرجال أعمال مخطوفين وفكرتن أن بالإمكان أن تحذون حذوهم.

التوت شفتاه بادزراء: «أنت جرذ قذر كريه! لقد سمعت عن حركة حقوق المرأة، لكنني لم أعلم أنكن قد تذهبن إلى حد دخول عالم الجريمة لتقلدن الرجال».

أصغت كيرا إليه بتفهم وسخط في آن معاً، لقد تلقت كرامته ضربة ساحقة، ولو كانت مكانه لغضبت كذلك.. ولكن، من ناحية أخرى أحست أن عليها على الأقل الحصول على المزيد من المعلومات بطرح الأسئلة.. فالرجال سريعون في إطلاق أحكامهم! إنهم يدينون الآخرين بلا رحمة ولهذا يرتكبون أخطاء سخيفة. سيشعر هذا الرجل بأنه سخيف حالما يعرف غلطته.. وعاجلاً أم آجلاً سيعرفها.

ولكن قبل أن يعرف قد تحدث أمور كثيرة، ففي تعابير وجه هذا اليوناني الأسمر الواقف هناك نية شريرة وعزم قوي.

قالت بإصرار: «لست مجرمة سيد بادولوس..»

ثم تلاشى صوتها حتى الصمت.. كانت متألمة من التورم في مؤخرة رأسها، ومن وجهها وعينها أضف إلى ذلك أن هناك أشياء مهمة تزعجها، أحدها اكتشافها أنها شبه عارية تحت هذه الأغطية..

أدارت رأسها تخفي احمرارها، وقالت:

ـ ثيابي.. هل أنت..؟ أعني.. أين هي؟

ـ نعم أنا. وهي في الحمام. بإمكانك غسلها إن أحسست بالقدرة على ذلك.

ـ أحس إحساساً رهيباً.. هل عرفت أنني امرأة قبل أن تضربني.

تنحى التعبير الشرير للحظة عن وجهه، وبدا أكثر إنسانية:

ـ لا.. لم أكن أعرف. إن جهاز التسجيل فكرة رائعة. ولكنه أثبت رغم حذاقتك وحذاقة زميلتيك، أن مشاركة رجل أمر ضروري للخطة.. إنه هنا.

أشار باصبعه إلى طاولة عليها آلة التسجيل.. ثم أضاف:

ـ أما المسدس فقد وقع في البركة معك.. ولم أستطع في البداية أن أقرر ما إذا كان عليّ أن أخرجك أم أتركك تختنقين في الوحل.. ولكن، عندما تحسستك لأتفقد قلبك قررت أن أخرجك..

وصمت ضاحكاً فارتفع اللون إلى وجهها. لقد حولت تلك الضحكة قسمات وجهه بطريقة جذرية. نظرت إليه كيرا بذهول للحظات.. في هذا الرجل تناقض غريب.. ربما يعاني ازدواجاً في شخصيته.. وإذا كان هذا صحيحاً فهناك أمل.

ـ توردت خجلاً! حسناً.. النساء هن أكثر المخلوقات غموضاً! يا لك من محتالة.. إنك رئيسة عصابة تثير الشفقة، ومع ذلك تتوردين خجلاً؟

ـ لست رئيسة عصابة!.. رأسي.. ألا يمكن أن تفعل لي شيئاً؟

كانت صيحة من القلب، نسيت معها كل شيء.. وأضافت:

ـ أعطني أقراصاً أرجوك.

ارتفع حاجباه المستقيمان قليلاً:

ـ أفعل شيئاً لك؟ بعد ذلك المسدس...؟

ـ لم يكن معي مسدساً.

اتسعت عيناه:

ـ لا.. إذن ما هو الذي كان يخزني تكراراً. هل لي أن أسأل؟

صمت، ثم سمعت أسنانه تصرّ، وشاهدت اشتداد تكوير فمه:

ـ ما الذي كان يدفعني تكراراً في ظهري؟

ترددت، لأنها أدركت أن الحقيقة ستكون منافية للمنطق.. أضف إلى هذا أنها تعرف بالتأكيد أن كرامة هذا الرجل تفضل كثيراً أن يكون مسدساً، على أن يكون قطعة صغيرة من الخشب.

أخيراً قالت: «لا بأس.. ليس الأمر مهماً».

نظر إليها نظرة غريبة، ولكنه لم يتابع الموضوع ولأن مزاجه ما زال إنسانياً حاولت كيرا مجدداً أن توصل الحقيقة إليه.. ولكن ما إن فتحت فمها، حتى تلاشى صوتها:

ـ لقد ذهب! لماذا لا يصغي إليّ؟ آه! ما أشدَّ ألمي! أنا بحاجة إلى عناية طبية.. قد أبدو غير صادقة ولكنني أفكر جيداً.. لن تستطيع هذا لو كنت مكاني! أصغ إليّ.. أصغ.

ولكنها لم تتلق رداً من وراء الباب الذي انفتح.. تمكنت من فصل الشرشف عن الحرام، ولفت نفسها به.. اختار اندريا بادولوس تلك اللحظة بالذات ليعود.. وفي يده زجاجة صغيرة.. تمسكت بذعر بالشرشف ووعت تعابيره الساخرة المسطورة على وجهه المتعجرف الأسمر.. سألته بصوت ضعيف.

ـ هل لي بشربة ماء؟ أحس بجفاف في حلقي! وكأنه مليء بالتراب.

ـ هذا مؤكد.. من التراب والأشياء الأخرى المهترئة التي ابتلعتها عندما وقعت في البركة.

سرت رجفة عظيمة في جسد كيرا النحيل.. لكنها توسلت إليه: الماء؟

كانت أفكارها الآن مجرد ذكريات متقطعة في رأسها، تدور وتدور.. تصدق بنجي بتفاؤل أن الفتيات سيجترحن معجزة... وتتساءل الفتاتان الآن عما أصابها.. ستذهبان إلى الشرطة لتبلغا عن اختفائها لأنهما لن تجرؤا على ذكر مؤامرة الخطف.. ويجب بعدها أن تخبرا بنجي.. الحبيبة المسكينة، وكأنما ليس لديها ما يكفيها من مشاكل. ماذا حدث يا ترى بمسألة فرار ريبل؟ ولكنها صرفت الفكرة الأخيرة عن رأسها بنفاد صبر لأن لديها ما هو أهم لتفكر فيه. سيبدأ

الشرطة بالتفتيش عنها. لكن كيف لهم أن يجدوها على متن يخت اندريا بادولوس وهو رجل لم تسمع صديقتاها به؟

قالت بصوت أجش منقطع: «سيتحطم قلب بنجي.. سيد بادولوس، ليس لديك فكرة عن المتاعب التي تسببها لي».

كان يسكب الماء في الكوب الذي ناولها إياه وهو يقول:

- هذا لا شيء أمام المتاعب التي نويت أن تسببها لي.. هاك.. خذي الأسبرين الذي سيخفف ألمك.

قالت ممتنة: «شكراً لك».

وابتلعت الأقراص وشربت الماء بظمأ بعد ذلك تقدمت إلى طاولة الزينة الصغيرة المثبتة إلى جدار المقصورة، ونظرت إلى المرآة ثم شهقت:

- يا إلهي! هل هذه أنا؟

رنت ضحكة من خلفها.

- ليس منظراً جميلاً.. هه؟ كان عليك أن تري نفسك ساعة حملتك إلى هنا.. كنت مغطاة بالوحل من رأسك إلى قدميك..

ارتدت إليه ببطء وقد تخلت أحاسيسها عنها مجدداً..

سألت: «أنت.. غسلتني؟».

- غسلتك؟ وضعتك على السطح، ورميت فوقك سطل ماء.. وما كنت لأفعل هذا لولا اضطراري إلى وضعك في أحد أسرتي.

غيرت كيرا الموضوع بسرعة لأنها تفهم بوضوح معاملته لها بغير رحمة أو احترام. على أي حال إنها بالنسبة له مجرمة حقيرة، امرأة وضعت مؤامرة بمساعدة زميلاتها لخطفه بغية طلب فدية.

- ثيابي.. ما زالت مبللة على ما أعتقد؟

- ما كانت في مغطس الحمام لولا ذلك.

- وهل نقعتها في الماء من أجلي؟

- أنا؟ بالتأكيد لا!

تورد وجهها: رميتها هناك فقط على ما أعتقد؟

- والرائحة الكريهة تتصاعد منها إذا دخلت إلى هناك لتغسليها، اقفلي الباب وراءك.. لا أريد للرائحة النتنة أن تعم المركب كله

بدا عديم الرحمة، ولكنها وجدت مرة أخرى له الأعذار..

قالت: «ليتك تصغي إلي...»

ثم صمتت بسبب الألم المبرح الذي يمزق عن غير رحمة أعصاب رأسها وعنقها.. تأوهت وهي تنهار إلى الأرض

- أحتا..ج.. إلى.. طبيب..

وغابت عن الوعي

* * *

٣ ـ ماذا ستفعل بي؟

عندما استيقظت وجدت أنها في السرير مجدداً.. ووجدت في المقصورة رجلاً يضع شيئاً على كرسي.

ـ استيقظت..؟ سأبلغ سيدي.

كان الألم قد تلاشى في الوقت الحاضر، وصفا عقلها فسألت: من أنت؟

ـ أحد البحارة.

ـ أحد البحارة؟ بحارة السيد بادولوس؟

ـ بالتأكيد.. نحن في الوقت الحاضر رجلان فقط لأن هذه الرحلة ليست رحلة استجمام.. طلب مني سيدي أن أغسل ملابسك وأجففها.

وترك المقصورة قبل أن تستطيع شكره.

تحركت عينا كيرا من الباب الموصد إلى الكرسي. قال الرجل إنه سيخبر سيده بأنها استيقظت. إذن، من المخاطرة مغادرة السرير والبدء بارتداء الملابس.. من الأفضل الانتظار بضع دقائق..

كانت مسرورة لانتظارها، فقد وصل اندريا بادولوس فوراً تقريباً وفي يده كأس فيه سائل أصفر..

قال يأمرها بقسوة: «اجلسي.. واشربي هذا».

ـ ما هذا؟

ـ قلت لك اجلسي.

تمسكت بالغطاء وقالت:

ـ أرجو منك أن تتركه هناك على طاولة الزينة..

صاح بها: «اجلسي.. ولا تتظاهري بالخجل هكذا.. فهو لا يناسب شخصيتك أبداً».

ـ أنت لا تطاق!

ضحك: «لا حاجة بك إلى البراءة. أنت محتالة حقيرة رخيصة لذا لن يوصلك التمثيل إلى شيء.. فاجلسي قبل أن أقرر مساعدتك»!

أطاعت فلم يتم تهديده. أمسكت بالغطاء أمامها، فتألقت عيناه باشمئزاز.

ارتجفت وهي تبتلع السائل:

ـ طعمه كالسم!

ـ لو أردت قتلك لدفعتك بطرف قدمي لتغوصي في الوحل ولتركتك في تلك البركة.. اشربي ما تبقى من هذا الدواء من أجل أعصابك.

ـ لا خطب في أعصابي!

ـ قد تعانين من ذلك فيما بعد. وإن كنت غير مخطىء أظنك ستعانين من صدمة متأخرة.

نظرت إلى عينيه السوداوين الضيقتين، وسألت:

ـ هل أنت قلق من مدى الضرر الذي ألحقته بي؟

عندما سمع كلامها الذي حملته كل حلاوة لاذعة اتسعت عيناه وأصبح صوته أشبه بشظايا ثلج بارد.

قال يحذرها: «كوني حذرة.. أنت سجينتي.. ولهذا عليك محادثتي باحترام بل بأقصى الاحترام».

مررت أصبعها على الكأس، والغضب يتصاعد في داخلها ولكن الحذر تغلب عليها وهي تفكر في موقفها. فهو لم يؤذها ولهذا قررت أن تتصرف بطريقة متملقة. وما إن استردت صفاء تفكيرها حتى فكرت: إن فشلت في التأثير فيه بقصتها فبإمكانها أن تنجو من أي مصير يخططه لها، فما إن تصبح على الجزيرة حتى تتمكن من إيجاد فكرة من أفكارها غير العادية فتعمد إلى استخدامها لتهرب.

تمتمت بعدما أدركت أنه ينتظر منها تعليقاً:

ـ لا أظنني تكلمت معك بغير احترام.

ترك اندريا المسألة تمر، وأمرها بتجرع ما بقي من الدواء.. أطاعته، ثم تناول الكأس منها، قال: «ارتدي ملابسك ثم توجهي إلى المطبخ للمساعدة في تحضير الطعام».

رفع أمره المفاجىء القاسي نار غضبها، ولكنها أشاحت برأسها لئلا يراه في عينيها. وسألت:

ـ كم الوقت الآن؟

ـ إنه الظهر.

ـ منذ متى.. وأنا..؟

ـ منذ أن فقدت وعيك. حوالي خمس عشرة ساعة.

ـ وهل فقدت الوعي كل هذه المدة؟

ـ كنت ستستيقظين في وقت متأخر من ليلة أمس.. وبما أنني لم أرغب في أن تزعجي راحتي، فقد صببت شيئاً في حلقك.

توقف ضاحكاً وهي ترتجف رهبة.

ـ لقد أبقاك الدواء هادئة وقتاً أطول مما توقعت.

غيرت الموضوع: «وهل أبحرنا من «بيراكوس»؟»

رفع يده لمنع التثاؤب، فثارت أعصاب كيرا.

ـ صحيح.

لم تعتد أن يظهر السأم من تتحدث إليهم.

ـ سأتركك لترتدي ملابسك.

بعد لحظة كانت تنظر إلى الباب الموصد، تتساءل عن الإحساس الغريب الذي كان يتسلل إلى وعيها ببطء.

بعدما ارتدت ملابسها، خرجت من المقصورة إلى ممر ضيق فيه سجاد، ينفتح عليه عدة أبواب، أحدها باب كبير مزدوج، عليه نوافذ رأت منها سطح المركب الخارجي. كان اندريا بادولوس جالساً في الشمس، يقرأ صحيفة. إنه يرتدي شورتاً. بدا جسمه برونزي اللون، وبدت عضلاته مفتولة قوية أما اليدان الارستقراطيتان اللتان تمسكان بالصحيفة فطويلتان نحيلتان أصابعها طويلة كالشمع وحساسة كأنها أصابع جرّاح. ابتعدت كيرا عندما رأت رأسه يستدير.. فهل أحس بوجودها؟ عبست لأنها أملت حقاً ألا يحس باهتمامها.. وجدت الحمام الذي اغتسلت فيه وبعدما ارتدت ملابسها ثانية، فتحت إحدى المقصورات بحثاً عن مشط، حينما وجدته غسلته بالماء، واستخدمته.. لكن شعرها كان خشناً من جراء ماء البركة القذر وملتصقاً أيضاً. كادت تصرخ ألماً عندما حاولت تمشيطه من الخلف، حيث التورم الكبير.. أمرها اندريا بادولوس بالمساعدة في تحضير الطعام ولكنها قررت غسل شعرها مرة أخرى، وعلى من كان يحضر الطعام أن يتدبر أمره كما لو أنها غير هنا.

هكذا أفضل.. هذا ما فكرت فيه بعدما غسلت شعرها بالشامبو. نظرت إلى المرآة وهي تمرر المشط في شعرها.. عاد جزء منها على الأقل إلى طبيعته.. أما.. وجهها! تأملته قليلاً ثم تساءلت بخوف عما إن كان ذلك سيشوهها إلى الأبد.. لا شك أن وراء الضربة قوة هائلة.. لم يشأ اندريا بادولوس إعطاء ضحيته فرصة استعادة وعيها منها. فيم فكر يا ترى عندما استدار كالبرق فرأى حجم

أسره؟ إنها لا تكاد تبلغ ارتفاع كتفه. أكان سيظهر شيئاً من الرحمة، ويشد قبضته إلى الوراء؟.. هذا غير ممكن بالتأكيد لأن اللكمة كانت في طريقها إليها قبل أن يدير جسده، والسرعة مطلوبة على أساس أن هناك مسدساً مصوباً إليه..

عبقت رائحة الطعام اللذيذة بأنفها فدلتها الرائحة على المطبخ حيث وجدت رجلاً يقف قرب الطباخ الذي ألتفت إليها عندما دخلت. رأت أنه الرجل نفسه الذي قال إنه غسل لها ثيابها.

قالت:

ـ هل أستطيع المساعدة؟ أعرف أنك تكاد تنتهي، ولكن هل أقدم لك أية مساعدة؟

ـ المائدة إن رغبت مدام.. حضريها.

قالت ببرود: «حسناً.. أين هي الطاولة؟»

ـ سأريك إياها مدام.. تعالي من هنا.

وسار أمامها إلى صالون جميل التحضير عريض النوافذ له باب يقود إلى شرفة.. كانت مائدة الطعام في الوسط. بعدما أشار إلى مكان أدوات الطعام خرج.. لا شك أن اندريا بادولوس رجل ثري..

فكرت مرة أخرى في قناعته أنه إنما اختطف من أجل فدية ليعود سالماً إلى عائلته.. عائلته التي لم تفكر فيها حتى الآن. راحت تتساءل إن كان لديه زوجة وأولاد، ثم صرفت الفكرة من رأسها بسرعة.. ما من رجل متزوج يأخذ معه امرأة إلى منزله.. ألست ذاهبة إلى منزله؟ ولكن لن يكون ذلك إن استطاعت الهرب.. أو الأفضل من هذا، أن تجعله يصغي إليها.

أعدّت المائدة لشخصين. أحست بالحيرة قليلاً عندما دخلت إلى الصالون بعد عشرين دقيقة لتجده يرتدي قميصاً أبيضاً فوق الشورت. نظر إلى المائدة من تحت حاجبين مرتفعين بعجرفة.

ـ من أعدّها؟

ـ أنا فعلت.. أليست مناسبة؟

ـ لا أتوقع صحبة وقت العشاء.. فلمن المكان الثاني؟

امتقع لونها بسبب سخريته وبسبب الغلطة التي ارتكبتها. لكنها سرعان ما استردت قوة شخصيتها. تحملت ما يكفي من عجرفته، ولكن للتحمل حدود. نعم هو الضحية، وله كل الحق في إظهار الغضب. ولكن، وبما أنها ليست تلك المحتالة الحقيرة الوضيعة التي يظنها، فقد تعبت من تصرفاته. إنها لا تحتاج إلا إلى توضيح الموقف الذي سيتوضح في غضون خمس دقائق إن أصغى إليها.

قالت بصوت متصلب مخنوق، وذقنها مرتفع وعيناها متوقدتان.

ـ أنا آسفة.. ظننت أن من المسلم به أن أتناول بعض الطعام.

ـ ستأكلين بالتأكيد.. في المطبخ.

سحبت كيرا نفساً عميقاً لتكبح رداً كاد يخرج منها. دخل اندريا بادولوس ببطء إلى الصالون، ووقف قربها، فخطت إلى الوراء.

أشار بيده بفخامة إلى الباب:

ـ أنا لا أجلس مع محتالة حقيرة رخيصة.. أخرجي! لا أريد رؤيتك هنا مرة أخرى.

اشتدت قبضتا كيرا، وأصبح النور في عينها السليمة مشتعلاً تقريباً.. لكن صوتاً صغيراً داخلها أنبأها بأن عليها أن تعذره، فرجل في مثل مقامه يأبى الجلوس لتناول الطعام مع محتالة.. ولكنها تجاهلت ذلك الصوت الصغير واشتعلت غضباً:

ـ إذا كنت مقرفة بالنسبة لك ولهذا..

أشارت بيدها باحتقار حولها:

ـ هذه اللعبة الفخمة.. إذن ما الذي دعاك إلى وضعي على متنه؟ لماذا لم تتركني حيث كنت؟

ران صمت رهيب..

راعها وهي تحدق إليه أن تجد نفسها ترتجف ارتباكاً بسبب التغيير الذي اعتراه.. إذ تحول كلياً من الاحتقار العادي إلى الغضب المتأجج.. لطخ لون قرمزي قاتم وجهه واشتعلت عيناه وومضتا.. لاحظت شفتاه المشدودتان بقوة، والفك المتصلب.. بدا يونانياً بكل ذرة منه، ببشرته البرونزية وجبهته المنخفضة، وقسماته الكلاسيكية الصارمة، وبعينيه الشبيهتين بعيني صقر. قالت لنفسها إنه ما كان عليها أن تذكر كلمة «اللعبة».

قال ساخراً:

ـ ما الذي دعاني؟ الثأر.. لقد سبق أن قلت لك إن ما من أنثى هددتني ونجت بفعلتها.. عندما أنتهي منك، فستتمنين من كل قلبك لو تركتك في تلك البركة لتغرقي! كنت مستمتعة بنفسك وأنت تدسين ذلك المسدس في ظهري.. ولكنك ستندمين، أقسم بربي! أما الآن، وإذا كنت تعرفين ما هو جيد لك، فاخرجي من هنا.. وإلا، لن أنتظر حتى نصل إلى منزلي!

سألت نفسها وهي تتجه إلى الباب مضطربة: ينتظر ماذا؟ الرجل شيطان، ونواياه شريرة. أينوي تعذيبها، أم حجزها، أم ماذا؟

نحت هذه الأفكار عنها إذ لا فائدة منها، ولكن شهيتها إلى الطعام تلاشت، فعادت إلى مقصورتها. وقفت قرب طاولة الزينة تنظر إلى صورتها، كم ستبقى عينها على هذه الحال؟ وأخذت تتحسسها برقة.. تصاعد غضب لا مبرر له ضد الرجل في الخارج الذي يتناول غداءه بمفرده، في ذلك الصالون الفخم.. ما الذي كان يفعله في أثينا؟ ولماذا كان في فندق الامبريال؟ متأكدة هي من أنه كان يقيم هناك، فقد حلق ذقنه قبل وقت غير بعيد على دخوله السيارة.. هل كانت سيارته؟ فكرت أنه استأجر السيارة التي استقلها

فمن غير المحتمل أن يكون له سيارة في أثينا وهو يعيش في جزيرة «كوس». ولكنها تظنه يملك منزلاً في المدينة لأن معظم رجال الأعمال لهم منازل هناك، إضافة إلى منازل في الجزر المتعددة.. ولماذا بحق الله كان عليه أن يستأجر مرسيدس سوداء؟ بل لماذا أوقفها على مقربة من المكان المفترض أن تقف فيه سيارة ليونيدس؟

تنهدت كيرا، وجلست على السرير.. يا لها من ورطة وجدت نفسها فيها.. ما ذلك إلا بسبب غباء ريبل.. كيف ستخلص نفسها؟ وإن فشلت في التفكير في طريقة للفرار فكم ستبقى أسيرة في الجزيرة؟

أخيراً، رمت كيرا عنها جميع الأفكار. إن كل ما تفكر فيه يحبط النفس. خرجت إلى السطح حيث وجدت اندريا جالساً منذ بعض الوقت. وقفت قرب السياج تنظر إلى البحر. كم سيطول الوقت للوصول إلى «كوس».. إنها جزيرة جميلة غنية بالآثار كما قرأت عنها.

ارتدت إليه فجأة وأعصابها ترتجف، لتقول:

ـ هل من اعتراض إن تنشقت بعض الهواء المنعش؟

توقعت منه أمراً بأن تغادر السطح حيث كان ينوي الجلوس.. لكنه رد:

ـ الهواء مجاني.

وجلس على كرسي مستطيل فخم، فسألت:

ـ متى نصل إلى كوس؟

ـ حوالي السادسة هذا المساء.

نظرت إليه بدهشة: «أبهذه السرعة؟».

ـ أجل بهذه السرعة.. أراك لا تقدّرين خطورة موقفك!

ـ بل أقدره جيداً، ولا أفهم لماذا تقول هذا.

تفرس في وجهها: «لست خائفة».

ارتدت إليه، ناسية تشوهاتها لحظة:

- ما أنا بجبانة.

- ألديك فكرة عما ينتظرك؟

- أبداً.. ولا أتوقع منك تعذيبي.

- أنا قادر على تعذيبك.

تأملت كيرا ملامحه فإذا فيها ما يدل على أن صاحبها لا يرحم أبداً.. لكنها تذكرت أن هناك عاملاً تناقضياً في إدعائه. وكانت تتذكر ذلك الإحساس الذي تسلل إليها منذ وقت قصير، بعدما غادر اندريا مقصورتها.

قالت: «لست ممن يرتكب أموراً كهذه».

رفع رأسه وسأل بصوت غريب: «ولماذا لا تعتقدين ذلك؟»

- لأنني لا أستطيع تصور ما العذاب الذي ستنزله بي.

- سيكون مجرد سجنك عذاباً لامرأة مثلك، معتادة على قضاء أوقات مرح بعد تنفيذ جرائمها.

كانت على وشك أن تقول له إنها تعمل لتعيش، لكنها امتنعت، يدفعها تردد، لا تفسير له، في أن تغير مزاجه.. كانت مترددة في رؤية ذلك التعبير الساخر على وجهه، وفي رؤية الاحتقار على فمه وهما تعبيران يعكسان عدم تصديقه لما تقول.

قالت تغير الموضوع قليلاً: «سيتم إبلاغ الشرطة بأنني مفقودة».

- على يد من؟

- على يد صديقتيّ.

- المتآمرتين؟

هزت كتفيها: «نعم إن كنت تفضل تسميتهما هكذا.. ستتوجهان إلى الشرطة».

- لن يحدث هذا.. وكما قلت لا ريب أنهما هربتا حالما أدركتا

ما أصابك.

تركت كيرا هذا الكلام يمر بلا تعليق، وسألت:

- ما هي نواياك بالضبط؟

- بالنسبة لماذا؟

يجب أن تعرف ما هو مخبأ لها: «ماذا ستفعل بي؟»

أدهشها أن يعقب سؤالها صمت قوي. نظرت باستغراب إلى وجهه المتغطرس الارستقراطي، فحبست أنفاسها لأنها أدركت أنه يفتقد إلى الكلمات!.. وهل يفتقد الكلمات بعد كل تلك التلميحات الخبيثة والإنذارات؟ أيكون رغم سعيه إلى إلقاء الرعب في قلبها غير متأكد مما سيفعل بها؟ حارت وذهلت من هذه الأفكار.. عندما خطفها كان غاضباً غضباً شديداً، إنها تستطيع تصوره مدفوعاً بنوبة غضب وهو يرميها في سيارته ليأخذها إلى يخته، وهو المكان الذي كان متوجهاً إليه عندما دست قطعة الخشب في ظهره، وأمرته أن يغير اتجاهه.. كان ينوي معاقبتها بشدة على جرأتها في اختطافه.. هو.. النبيل المتكبر، اندريا بادولوس الذي هو على ما يبدو رجل ذو قيمة ومنزلة. ترى ما طبيعة العقاب الذي سينزله بآسرته، ولكنه حتى في ثورة غضبه الأعمى لم يقرر ما هو هذا العقاب.

اقتنعت بأنه اختطفها عن تهور. تساءلت أمن الممكن قراءة أفكاره؟ أمن الممكن أن تكتشف أنه في الواقع نادم على اختطافها؟.. وأنه يتمنى لو تركها حيث كانت.. ارتفعت معنوياتها.. فإن كانت استنتاجاتها صحيحة فسيطلق سراحها في وقت قريب، وسيكون مسروراً بالتخلص منها بعدما أصبحت الآن مصدر إزعاج له.

قال: «بداية سأسجنك، وهذا سيجعلك تفكرين في جسامة ما فعلت».

ـ تسجنني..؟ حتام؟

نظر إليها عابساً: «لا تبدين مدركة أبداً للخطر الذي يواجهك.. ربما أن عقلك لم يصف بما فيه الكفاية لتفهمي الموقف بشكل صحيح؟»

ـ عقلي صافٍ كل الصفاء.. شكراً لك.

ضاقت عيناه السوداوان، وكان في عمقهما الخطر.. لكنه كان حائراً كذلك، حائراً من هدوئها وعدم خوفها.

قال: يصبح الجبناء عادة كالجرذان القذرة عند اقتراب القصاص.

ارتفع ذقنها إلى فوق: سبق أن قلت لك إنني لست جبانة.

لكنها تذكرت تشوهها، وأحست أنها عرضة لتسلية هذا الرجل الواثق من نفسه، الجالس هناك.. انتظرت تعليقاً ساخراً وأخيراً سمعته يقول، بصوت فقد حدته القاطعة:

ـ نعم أنت غير جبانة.. بل أراك تمتلكين قوة وعزماً مؤكدين لا نجدهما عادة في امرأة.

لكنه أضاف وكأنه مضطر إلى الإضافة:

ـ لو كنت أذكى قليلاً لكنت رئيسة عصابة ناجحة أنيقة المظهر كذلك.

لم تستطع إلا القول:

ـ هل أعتبر قولك إطراء سيد بادولوس؟

ـ لقد قلت الحقيقة، فأنا لا أغازل امرأة أبداً. ما اسمك؟ رأيت حرف «ك» على منديلك الذي أخرجته من جيبك.

ذكرته مكررة:

ـ كيرا رامنغتون..

ـ آنسة، على ما أعتقد.

ـ هذا صحيح.

ـ كم عمرك؟

ـ ثلاثة وعشرون عاماً.

حدجها بنظرة من رأسها إلى أخمص قدميها، من شعرها البني الأحمر إلى جبهتها المرتفعة فعينيها النجلاوين فانحناءة أنفها، وطول عنقها.. ثم نزل إلى الأسفل.. بدا أنه فكر في شيء ما:

ـ همم.. ستكونين في غاية الأناقة بعد شفاء كدماتك.

عبست في وجهه، وسألت ببراءة:

ـ ما شأن مظهري بأي شيء آخر؟

التوت شفتاه: «إن أعجبتني اتخذتك رفيقة وسادة».

ـ ماذا؟

ـ قد يكون من المفيد وجود امرأة مثلك في المنزل. أجل.. أظنك ستكونين مفيدة لي، على أي حال.

ضحك على تعابير وجهها وتورده:

ـ أنت فتاة تثيرين الدهشة كيرا رامنغتون.. وأنت إلى ذلك مميزة أيضاً.. أم أن جو البراءة والغضب مجرد تمثيل؟ أنا واثق نظراً لمهنتك أنك تقضين أوقاتاً مع الأوغاد الذين اعتدت مخالطتهم.. مع ذلك، سيكون لهذا كله نكهته الخاصة.. فأنا أشمئز من النساء غير الخبيرات.. وأظنك تشمئزين من الرجال العديمي الخبرة.. سنتفق معاً.. هذا إن أعجبني مظهرك.

رأت عينيه تضيقان بشكل خطير عندما تمتمت:

ـ ما أكرهك، أنت لا تطاق! كنت سأقبل بإهاناتك وأغض عنها. لكنني اكتفيت! لقد تلقيت كل ما أنا مستعدة إلى تلقيه وإن كنت تريد حرباً، فلتكن الحرب إذن! إن عجرفتك وغرورك لا تطاقان فحسب بل تثيران الشفقة! وإن استطعت أن ترى نفسك كما يراك الآخرون

لخففت قليلاً من غرورك! تريد أن أكون صديقة وسادتك. لا، لا يا هذا أحذرك، فما أنا بضعيفة عاجزة عن مقاومتك بل أنني مقاتلة بشكل ممتاز!

صمتت منتفضة بسبب ألم ضرب عينيها ثم أضافت:

- قد تكون قادراً على استخدام قبضتيك، لكنني قادرة على استخدام أظافري، وفي الواقع، قد أستمتع باستخدامها.. سأستمتع برؤية وجهك مشوهاً.

رأت تعبير وجهه يصبح واجهة إجرامية، فجأة شعرت بالإرهاق، فقررت أن الانسحاب أفضل حل.. ارتدت على عقبيها تهم بالمغادرة ولكنه عن غير سابق إنذار، شد شعرها، فصرخت متألمة وتصاعد العذاب إلى رأسها، لأنه أمسك بالشعر الذي يغطي الكدمة المتورمة.. استدارت بحركة كالبرق، وركلته على عظمة ساقه.. فأرضاها أن تسمعه يتأوه، لكن الالتفاتة سببت لها الألم أيضاً لأنها اضطرت إلى شد شعرها من قبضته.. انهمرت الدموع على خديها، لكنها مسحتها بغضب آملة ألا يلاحظها.

قال حانقاً:

- أيتها.. القطة النارية اللعينة! سأهزك حتى تصرخي طلباً للرحمة!

ارتدت كيرا إلى الوراء، لكنه انقض عليها، وأحست بذراعيه تطبقان عليها.. وقبل أن يستطيع تنفيذ تهديده، ركلته مجدداً.. وفي هذه المرة رأته يعض شفته ألماً.. ثم غابت عن كل شيء..

***

٤ ـ السيف أم النار؟

ارتجفت كيرا من رأسها حتى أخمص قدميها. قال صوت وهي تفتح عينيها: «إنها الصدمة المتأخرة».

ذلك الرجل الكريه هناك في الجانب الآخر من الصالون، رأسه الأسود الشعر يبدو أمام نور النافذة.

كررت ذلك: «لا ليست صدمة متأخرة، بل صدمة سببها لي إمساكك بشعري. أليس لديك عقل أبداً؟»

سحب نفساً عميقاً، ثم تكورت شفتاه.. كان يتصرف ببرود لا بغضب. شعرت بأنه يتمنى من كل قلبه لو تركها حيث كانت.

- لو تعرفين ما هو خير لك يا فتاة لأمسكت لسانك! لقد مررت معك بمتاعب تكفيني حتى الآن ولن أتحمل عليها وقاحتك.. قلت إنها صدمة متأخرة، وهي صدمة متأخرة!

دفع يده في شعره دليل حدة.. وبدا متضايقاً أكثر من أن يوصف. شعرت بارتفاع معنوياتها لأنها اقتنعت أن المسألة مسألة وقت فقط قبل أن يتركها حرة.. وسيكون بلا ريب مسروراً بالتخلص من إزعاجها.

أسدلت الظلمة ستارتها عندما بدا مرفأ «كوس» أخيراً. بدت الأنوار جميلة، ومع تقدم اليخت، عبقت الروائح الطيبة بأنف كيرا.. عج خليط من القوارب الصغيرة في المرفأ الجميل الذي كان

صغيراً على استقبال المركب الكبير.. عندما وصلوا إلى الشاطىء، دفعت بلا احترام إلى سيارة منتظرة.. نظر السائق الأسمر السمين إليها وهو يفتح الباب الذي دفعت منه دفعاً إلى الداخل على يد آسرها. فهل هو معتاد على رؤية سيده برفقة سيدات شابات؟ ثم تقوقعت على نفسها لأنها أدركت ما فكر فيه.. إنه غير معتاد على رؤية فتاة تغطي وجهها الكدمات!

سارت السيارة في شارع محاط بالأشجار، ثم وصلت إلى مكان موحش ومنه وصلوا إلى أسفل جبل متعرج، وما هي إلا بضع دقائق حتى توقفت السيارة أمام فيلا تحيط بها حدائق شبه استوائية، تنبعث منها روائح فوّاحة تعبق في الجو.

تقدمت خادمة، طلب إليها أن تصحب كيرا إلى غرفة الضيوف.

مرت عينا ماريا السوداوان بدهشة على جسد كيرا المتشح بالسواد قبل أن تستقرا على وجهها.. واختفت أية دهشة تحت قناع لا تعبير له شبيه بقناع السائق. لا شك أن خدم اندريا بادولوس مدربون جيداً.. بعدما اصطحبتها ماريا إلى الغرفة، انسحبت بصمت، وأغلقت الباب وراءها.

وقفت كيرا تتأمل وسط الغرفة، وتفكر في الخادمين اللذين التقت بهما. وهي تتوقع منهما أن يتحدثا عن الفتاة الإنكليزية الغريبة اللباس ذات الوجه المغطى بالكدمات، الفتاة التي لم تجلب معها من ملابس غير ما على جسدها.

وصلت سيارة أخرى، فتقدمت إلى النافذة تنظر.. خرج منها رجل نحو الشرفة المسقوفة التي كان يقف عليها اندريا بادولوس، فقد تكلم الرجل وأصغت إلى الحديث الجاري بين الرجلين.. تحدث الرجل باليونانية وأجابه اندريا باليونانية أيضاً، ولكنها وجدت في كلامهما الكثير من الكلمات الإنكليزية بحيث لم تجد كيرا صعوبة

في فهم الموقف. والدة اندريا بادولوس، المولع بها بشكل غير عادي، مرضت وحملت إلى المستشفى بسرعة، حيث وجد أنها تعاني من ورم خبيث في الدماغ، ولا أمل في شفائها. قال اندريا المصدوم، بصوت متكسر، إنه سيذهب إلى المستشفى حالاً، لكن الرجل الآخر قال له إن أمه تطالبه باصطحاب خطيبته الإنكليزية معه إلى المستشفى لأنها تريد رؤيتها قبل أن تموت.

ارتجف صوت اندريا انفعالاً:

ـ أتعرف أنها ستموت؟

شعرت كيرا بالشفقة عليه.

أجابه الرجل: «أدركت ذلك بنفسها وهي الآن لا تريد إلا رؤيتك مع الفتاة الطيبة التي وجدتها أخيراً. فهي لم تكن قط موافقة على طريقة عيشك الشريرة».

ساد صمت قصير، ثم قال: «لم أصطحب معي سيلڤيا».

ـ أنت لم..! لكنك، سافرت إلى انكلترا لهذا السبب، لتحضرها إلى هنا وتقدمها إلى العائلة.

ـ لقد تخاصمنا.

ـ لا تبدو منزعجاً كثيراً.

ـ أنا قلق على أمي.. الواضح أنني لن أستطيع القول لها إنني تخاصمت مع سيلڤيا.. سأفكر ملياً في الأمر في أثناء توجهي إلى المستشفى، عليّ أن أتركك الآن بيدرو..

ـ اندريا.. ستلاحظ أمك بسرعة كذبك. أعرف مدى صعوبة خداعها، فأنا ابن أخيها أما أنت فابنها لذا يجب أن تعرف أنك غير قادر على خداعها.. هل فسخت الخطوبة؟

بعد صمت قصير، اعترف اندريا، فأردف بيدرو:

ـ ما الذي حدث.

اكتفى اندريا بالقول بأنهما اكتشفا أنهما غير متناسبين، فصاح بيدرو بدهشة:

- غير متناسبين؟ أليس الوقت متأخراً على اكتشاف كهذا؟

- اسمع بيدرو.. لن أضيع الوقت في شرح شؤوني الشخصية.. سأتوجه حالاً إلى أمي.

ارتدت كيرا ما إن انطلق اندريا إلى السيارة.. لحق بيدرو به، وسمعته يقول:

- سيتحطم قلب عمتي أنجيلا.. كنت معها منذ ساعة وقالت إنها ستموت سعيدة إن عرفت أن مستقبلك مستقر، نعم لم تكن تفضل خطوبتك لفتاة إنكليزية، ولكنها اقتنعت. وأظن أن وجود سيلفيا في الكلية، للحصول على درجة «أستاذ» ساعد على إبعاد المخاوف من ألا تكون زوجة مناسبة لك. تحب عمتي أنجيلا الذين يدرسون. إنها مصيبة لأنك لم تتمكن من اصطحاب الفتاة.

وقف اندريا فجأة في مكانه مسمراً.. ونظر إلى نافذة كيرا.. ثم قال بلهجة متوترة:

- لدي فكرة! بيدرو.. اذهب إلى البيت واجلب لي فستان من عند غابريللا، ومعطف.. أجل معطف..! أسرع!

- لكن.. فستان ومعطف من عند شقيقتي؟ اندريا ماذ...؟

- اذهب بيدرو.. واطرح الأسئلة فيما بعد.

لم ينتظر للمزيد من الجدال من ابن خاله بل توجه إلى الشرفة، رأته كيرا يتسلق الدرج قفزاً، فخفق قلبها وآلمها رأسها من جديد.

كانت واقفة قرب السرير، شاحبة الوجه عندما فتح اندريا الباب.

قال بلا مقدمات: «أنت.. اغسلي وجهك ويديك.. ستأتين معي!»

ابتلعت ريقها وتنحنحت استعداداً للاعتراف بأنها كانت تصغي إلى ما كان يجري، وأنها لا تنوي أبداً أن تنصاع لرغباته.. لكن شيئاً في وجهه.. تعبير مصدوم، ولون رمادي على طرفي فمه، أوقف الرفض واستعاضت عنه بتصنع الدهشة:

- إلى أين؟

- إلى المستشفى.. أمي...

لكن مشاعره قطعت كلامه. إنها مشاعر غريبة من رجل كاندريا بادولوس..

أردف: «أمي مريضة وتريد رؤية خطيبتي قبل.. قبل.. أن تموت.. سأشرح لك كل ما أنت بحاجة لمعرفته في أثناء توجهنا إلى المستشفى».

أشار إلى باب لم تلحظه كيرا وهو يقود إلى حمام:

- ذهب ابن خالي ليجلب لك بعض الثياب، نظفي نفسك بأفضل طريقة هنا..

نظر عابساً إلى وجهها المشوه:

- سأقول لأمي إنك وقعت.. إياك أن تنكري ما أقوله.. مفهوم؟

شدت كيرا على أسنانها.. إن هذا الرجل يطلب منها معروفاً ومع ذلك يتصرف بطريقة ديكتاتورية لذا لم تتمالك نفسها من الرد:

- ولنفترض أنني أنكرت ما تقول؟

سرعان ما ندمت على إظهار هذا الطيش.. إذ كان على مقربة منها بوثبة مفاجئة، وقبل أن تعرف ما حدث أحست بأصابعه القوية على عنقها.

- سأخنقك حين أعيدك إلى هنا!

ثم تركها وراح يراقبها تبتلع ريقها بشدة وهي تحاول إراحة عضلات عنقها من الألم..

أضاف: «إن تجرأت في المستشفى على طلب المعونة من أحد، أو ذكر ما حدث لك، استدعيت الشرطة وسلمتك إليهم.. والآن.. ادخلي الحمام.. واجعلي نفسك مقبولة قدر المستطاع!»

أطاعته كيرا، رفعت يدها إلى عنقها.. الرجل متوحش يتلبسه شيطان.. ولن يردعه شيء عن القتل..

نفذ وعده وقدم لها تفسيراً مختصراً في أثناء توجههما إلى المستشفى.. عرفت من المعلومات أكثر مما استرقت السمع إليه. لكنها أصغت بلا تعليق، تعبر فقط بكلمات الشفقة عندما سمعته يقول إن أمه مصابة بورم خبيث في رأسها.. كانت أمه أرملة تعيش بعيداً عن منزل ابنها بضعة أميال، في قرية جميلة تعشش عند أقدام جبل «ديكالوس» وكانت راغبة في رؤية ابنها مستقراً، وها هي الآن ترغب في رؤية الفتاة التي خطبها منذ بضع أشهر حين كان في رحلة عمل إلى انكلترا.. كان فمه يتجهم تكراراً وهو يتابع الكلام، فعرفت كيرا أنه يكره الإفضاء لها بمثل هذه التفاصيل، مهما كانت ضرورية. تابع يقول إنه فسخ خطوبته ولكنه ذكر كيرا بأن عليها أن تدعي أن اسمها سيلڤيا. أخيراً، قال إن أمه التي رأت صور سيلڤيا لن تدرك أنها فتاة أخرى خاصة ووجهها مشوّه بسبب الكدمات.. ثم صمت وظلا صامتين ما تبقى من الرحلة.

بدت السيدة بادولوس الشديدة الاسمرار الهائمة العينين في الستين من عمرها.. عندما قدمها إليها تناولت يد كيرا، وتنفست الصعداء.. أحبتها المرأة وكيرا أحبتها بدورها. وجدت كيرا نفسها تبتلع بألم غصات صغيرة في حلقها من فكرة اقتراب هذه المرأة من حافة الموت.

نظرت السيدة بادولوس إلى وجه كيرا عابسة: سيلڤيا..

سارعت كيرا إلى شرح الموضوع كما قال لها اندريا فعلقت

العجوز على سقطتها:

ـ يا للمسكينة.. هل تؤلمك؟

ردت: «ليس الآن».

ـ وشعرك؟ عزيزي اندريا.. كان شعر سيلڤيا أشقر في الصور التي أريتني إياها.. أشقر كثيراً على ما أذكر.

هز رأسه، ورمى كيرا نظرة تحذيرية:

ـ كانت تضع شعراً مستعاراً حبيبتي.. تضع الفتيات عادة شعراً مستعاراً، كما تعرفين.

علت جبينها تقطيبة أخرى:

ـ عليك الامتناع عن ذلك عزيزتي، ليس وشعرك جميلاً هكذا. إنه في غاية الجمال.. عديني بأن لا تغطيه بشعر مزيف.

ابتسمت كيرا التي سحبت يدها من يد السيدة بادولوس وقالت: «أعدك».

قال اندريا بعد قليل:

ـ حسناً حبيبتي.. هل أنت راضية عن خطيبتي؟ هل أنت سعيدة الآن؟

أمام دهشته ودهشة كيرا معاً، ران صمت طويل بعد طرح السؤال..

ـ أعتقد يا اندريا أنني أود أن أراك متزوجاً قبل رحيلي.

قالت كيرا بطريقة لا إرادية: «متزوجاً».

تلقت نظرة سوداء من خاطفها..

ـ هل من سبب يمنع زواجكما حالاً؟

كان السؤال موجهاً إلى كيرا، فنظرت إلى اندريا الذي رأته مصعوقاً، لا يجد الكلمات، فسارعت لتقول:

ـ حسناً.. لا.. ليس في الواقع.

ابتسمت السيدة بادولوس، ونظرت إلى ابنها:

- بالتأكيد ليس هناك ما يحول. لقد قلت يا عزيزي إنك وسيلڤيا تنتظران فقط أن تنهي دراستها.. وبما أنها أنهت دراستها فلا سبب للتأخير.

صمتت لتظهر خطوط تعب على جبينها، إضافة إلى بضع قطرات عرق. فنظرت كيرا إلى اندريا الذي كان يراقب وجه أمه، وملامحه رمادية متجهمة. بدا واضحاً أن السيدة بادولوس تعاني من بعض الألم..

أردفت: «سأكون سعيدة إن رأيتك متزوجاً من هذه الفتاة الساحرة».

ألقت كيرا نظرة أخرى إلى اندريا، فتورد وجهها بشدة.. فرغم ظلال عينيه، كان في وجهه تعبير جاف.. فتاة ساحرة.. ماذا ستقول أمه لو عرفت أنها في نظره ليست بأكثر من محتالة قذرة؟

قال اندريا: «حسناً أمي».

لكنها قاطعته:

- لا نؤمن هنا بالخطوبة الطويلة، لذا ستتزوجان حالاً خاصة وأن لا ارتباطات لدى سيلڤيا في بلادها.. لقد أخبرتني بنفسك أن لا أقارب لها سوى عمة واحدة.

ظلَّ اندريا وكيرا صامتين فترة ولولا مأساوية الموقف لأغرقا بالضحك. تساءلت كيرا عن أفكار اندريا.

تكلم يذكر أمه بأن خطيبته جاءت في الواقع في زيارة لتتعرف إلى عائلته وأنهما لم يفكرا في الزواج قريباً هكذا، وأن على سيلڤيا أن تعود إلى بلادها لتسوي شؤونها هناك.. وتابع على هذه الطريقة المقنعة فترة.. وعندما فكرت كيرا في تصرفه، وجدت أنه وسيلڤيا لم يكونا راغبين إلى الدخول في مرحلة الزواج.. أنهت الفتاة

ابتسمت السيدة بادولوس، ونظرت إلى ابنها:

ـ بالتأكيد ليس هناك ما يحول. لقد قلت يا عزيزي إنك وسيلڤيا تنتظران فقط أن تنهي دراستها.. وبما أنها أنهت دراستها فلا سبب للتأخير.

صمتت لتظهر خطوط تعب على جبينها، إضافة إلى بضع قطرات عرق. فنظرت كيرا إلى اندريا الذي كان يراقب وجه أمه، وملامحه رمادية متجهمة. بدا واضحاً أن السيدة بادولوس تعاني من بعض الألم..

أردفت: «سأكون سعيدة إن رأيتك متزوجاً من هذه الفتاة الساحرة».

ألقت كيرا نظرة أخرى إلى اندريا، فتورد وجهها بشدة.. فرغم ظلال عينيه، كان في وجهه تعبير جاف.. فتاة ساحرة.. ماذا ستقول أمه لو عرفت أنها في نظره ليست بأكثر من محتالة قذرة؟

قال اندريا: «حسناً أمي».

لكنها قاطعته:

ـ لا نؤمن هنا بالخطوبة الطويلة، لذا ستتزوجان حالاً خاصة وأن لا ارتباطات لدى سيلڤيا في بلادها.. لقد أخبرتني بنفسك أن لا أقارب لها سوى عمة واحدة.

ظلَّ اندريا وكيرا صامتين فترة ولولا مأساوية الموقف لأغرقا بالضحك. تساءلت كيرا عن أفكار اندريا.

تكلم يذكر أمه بأن خطيبته جاءت في الواقع في زيارة لتتعرف إلى عائلته وأنهما لم يفكرا في الزواج قريباً هكذا، وأن على سيلڤيا أن تعود إلى بلادها لتسوي شؤونها هناك.. وتابع على هذه الطريقة المقنعة فترة.. وعندما فكرت كيرا في تصرفه، وجدت أنه وسيلڤيا لم يكونا راغبين إلى الدخول في مرحلة الزواج.. أنهت الفتاة

ـ هل وقعت على وجهك أم على ظهرك؟

تلعثمت: «على.. على وجهي».

ـ إذن كيف تلقيت الإصابة على رأسك؟

بللت شفتيها بحثاً عن تفسير مقبول، لكنها فشلت وقالت:

ـ وقعت مرتين، مرة على وجهي ومرة على ظهري.

اتسعت عينا الطبيب بعدم تصديق.

ـ صحيح؟ أمر غير طبيعي.. على كل حسناً.. من الأفضل أن ترافقيني لأعاينك إذ علينا تصوير رأسك بالأشعة.

بعد نصف ساعة كانت كيرا في السيارة مع اندريا. في المستشفى عولجت عيناها بنوع من السوائل المطهرة، أحست أنها جسدياً أفضل حالاً.. ولكن رأسها كان مشوشاً.. فبعدما انتهى الطبيب تكلم مع اندريا:

ـ كنت أمر بالباب، فسمعت ما طلبته أمك منك. سيسعدها زواجك لذا آمل أن تنفذ رغبتها.

رد اندريا بهدوء: «هذا ما ننوي فعله».

لم تقل كيرا شيئاً في السيارة. أدارت رأسها مرة أو مرتين، لتلقي عليه نظرة جانبية. كان مظهر وجهه الجانبي قاسياً، فكه بارز بطريقة مخيفة. حاولت أن تطرد مخاوفها المتصاعدة وأن تقول لنفسها إنها مخاوف حمقاء.. لكن هذا الرجل غامض، لا يمكن التكهن بما يفكر فيه.. سرعان ما أصبحت تشعر بقلق. لا يمكن أبداً إجبارها على الزواج! على أي حال، إنها آخر من يرغب اندريا في تزوجه. مهما كانت لهفته على أمه كبيرة.. كان هذا ما أكدته لنفسها مراراً وتكراراً. لا شك أن عنده فكرة.. ولكن الفكرة عادت تراودها بحدة حالما دخلا الڤيلا..

قال اندريا بصوت غريب، ملؤه الكراهية والتصميم:

- عنيت ما قلت.. وأعرف ما ستقولين ولكن بإمكانك إدخار أنفاسك.. فأنا أنوي..

قاطعته وهي لا تكاد تصدق: «أدخر أنفاسي! هل أنت مجنون؟ لن أصغي أبداً إلى مثل هذا الكلام السخيف!»

- لن تصغي فقط بل ستنفذين ما آمرك.

قالت بغضب وتفكيرها متشوش:

- أنت تتكلم بطريقة غير معقولة.. لا يمكنك إجباري على الزواج بك.

كانا واقفين في غرفة الجلوس.. اندريا قرب النافذة وكيرا قرب الباب، وكانت تهم بالذهاب إلى غرفتها لتنام.

تركزت عينا اندريا عليها:

- بل أستطيع إجبارك.. فأنت تعرفين الموقف.. إما الزواج وإما تسليمك إلى الشرطة.

ران صمت مطبق.. كيف نسيت هذه الورقة الرابحة التي يحملها؟ فلو سلمها للشرطة لواجهت وقتاً عصيباً. فترة المحاكمة ثم السجن.. وستتبلغ بنجي التي ستلوم نفسها..

- أنت تبتزني؟

رأت حاجبيه ينعقدان:

- إنها كلمة كريهة.

- وهذا موقف أكره من ذلك.. فأنت لا تريد حقاً الزواج بي.

- الزواج بك؟ أرغب في الزواج بمحتالة من الدرجة الثالثة؟ لا.. بكل تأكيد لا أريد الزواج بك!

توردت وجنتا كيرا غضباً:

- في هذه الحالة، لا شيء يقال غير هذا.

لوّح يده ساخطاً:

- توقفي عن المراوغة يا فتاة! فكما قلت لك.. إما الزواج وإما نيل العقاب على جريمتك.. يجب أن أحذرك أن الشرطة عندنا تنظر إلى جرائم العنف بطريقة قاسية وقد تطلق عقوبات مشددة خاصة ضد الغرباء ممن يدخلون بلدنا بنية اختطاف مواطنيها بقوة السلاح.

- لم يكن لدي مسدس.

التوى وجهه بنفاد صبر.

- فلنبق في موضوعنا.. عرضي الأخير هو: الزواج أو تسليمك إلى الشرطة، قد تنالين حكماً بالسجن مدة عشر سنوات.

بدا سعيداً وهو يرى اللون يفارق وجهها.

- عشر سنوات؟ لا أصدقك.

- لا؟ أعتقد أنك تصدقينني.. قرري الآن كيرا رامنغتون..

في صوته حب وثني لأمه.. ولو تمنعت كيرا فماتت أمه تعسة لما أظهر نحوها أي رحمة.. أضاف فجأة: «ستكونين حرة بعد أسبوع».

لاحظت كيرا العذاب على وجهه، فشعرت بالشفقة عليه رغم كرهها له.. فمهما كانت طباعه فظة فهو يحب أمه عميقاً. نظرت إليه مباشرة: «حرة بعد أسبوع؟ وخلال الأسبوع؟»

تذكرت ما قاله عن جعلها رفيقة وسادة، لكنها عرفت أنه سيكون منشغلاً بأمه بحيث لن يزعج نفسه بتحقيق تلك الرغبة.

سألها بلهجة صارمة: «ماذا تقصدين؟»

- أظنك تعرف.

أمرها بحدة: «اشرحي».

- هل ستتركني وشأني؟

رد: «نعم.. والآن، هل توصلت إلى قرار؟»

- فيما بعد.. سيحصل طلاق؟

ـ أعتقد أنك تستطيعين الحصول على طلاق في بلادكم، فنحن لا نعامل الزواج بمثل هذه الخفة.

نظرت إليه مطولاً وعيناها متعجرفتان ومزدريتان:

ـ إن لم يكن هذا الزواج المهزلة خفة.. فلا أدري إذن ما هو! شخصان يزدري كل منهما الآخر ينويان الزواج من أجل مصلحة. أنت تريد لأمك أن تكون سعيدة.. في.. نهايتها.. فيما أنا آمل فقط أن أتحرر من الملاحقة.. ثم تقول إنكم لا تعاملون الزواج بخفة؟ برأيي إنه أحط أنواع الإساءة!

أثار سخطها اهتمامه.. وبدا دهشاً، حائراً إذ لم يكن يظن أن عندها مثلاً عليا..

قال: «لقد أسأت فهمي.. ما قصدته أنني لا أحبذ الطلاق».

سألت بدهشة: «أنت رجل غير عادي سيد بادولوس؟»

ـ ألأنني لا أحبذ الطلاق؟

ـ إن ذلك لأمر غريب على شخصيتك.

ـ لست في مركز يخولك تقويم شخصيتي؟

هزت كتفيها: أنا أحكم فقط من خلال ما رأيته منك في فترة تعارفنا القصيرة.

ـ أنت لا تعرفين شيئاً.. لذا لا تضيعي الوقت في محاولة معرفة شيء.. اتخذي قرارك.

تنهدت كيرا تنهيدة نفاد صبر.. يؤمن أنها محتالة، لذا تعذره ولكن ما لا تستطيع أن تعذره عليه هو رفضه قبول تفسيرها.. إن عرف الحقيقة فلن يشعر بسوى الإذلال المؤقت. لكنها وجدت أنه حتى وإن عرف الحقيقة لن يكون مستعداً أو راغباً في الفهم أو التسامح لأنه ليس من هذا الصنف من الرجال.

سألت أخيراً: أيمكن أن يكون لي بعض الوقت للتفكير بهذا

العرض؟

ـ إنه إنذار نهائي..

ثم طلب منها الذهاب إلى غرفتها لتتخذ قرارها في غضون نصف ساعة.

وصلت إلى غرفتها حيث رمت نفسها على السرير، لتكتشف باشمئزاز أن دموع الشفقة على الذات، والهزيمة، على وشك الانهمار.. يا لها من ورطة شنيعة! لم تعرف أنها ستصل إلى هذه النتيجة عندما خططت لإنقاذ مربيتها من القلق.. ريبل.. ستخنقها إن رأتها أمام عينيها.

أمهلها اندريا نصف ساعة.. نصف ساعة تقرر خلالها ما بين الزواج من مخلوق متعجرف وبين السجن. إن إنكارها وجود مسدس بحوزتها ساعة الاختطاف لن يفيدها فتفتيش البركة ليس بدليل على صحة قولها.. ثم هناك آلة التسجيل وهي في حوزة اندريا، وهذا ما لا يمكنها إنكاره.. قد تشهد الفتاتان على أنها خطفت الرجل الخاطىء.. لكن بما أن نية الخطف موجودة بالأصل فستكون النتيجة تجريم كارينا وسامنتا هذا بدون أن تستفيد هي كثيراً.. فكرت في بنجي وفي ما قد يصيبها إن علمت أن كيرا والفتاتين تدخلان السجن بسببها.. لا.. هذا غير مفيد أبداً..

تصارعت أفكارها في كل اتجاه ثم وصلت إلى استنتاج كريه ألا وهو الزواج بالرجل الكريه اندريا بادولوس.. واجهت كذلك حقيقة أنها مضطرة للاعتراف بأنها مجرمة بالفعل، ليس من وجهة نظرها بل من وجهة نظر القانون.

لقد اختطفت اندريا، وأجبرته بالتهديد على قيادة السيارة إلى حيث أرادت، ودفعت بشيء في ظهره اعتقده مسدساً وهذه الظروف كلها تدينها لذا قد تنال حكماً بالسجن مدة عشر سنوات.. أو قد

تتلقى على الأقل حكماً بالسجن مدة خمس سنوات.

ارتجفت كيرا، ونظرت إلى ساعتها.

إن الوقت الذي أمهلها إياه يكاد ينتهي.

* * *

٥ ـ وردة وشيطان

بعدما اتخذت قرارها، أدركت كيرا كم سيكون محرجاً شرح سبب الزواج المفاجىء لمربيتها. وكم سيكون صعباً شرح سبب انهياره المفاجىء فيما بعد. ذكرت هذا لزوجها بعد أربعة أيام على الزواج..

كان عائداً من زيارة المستشفى. دخل إلى غرفة الجلوس.. ووقف ينظر إليها بعينيه السوداوين الشريرتين، فتوجست خيفة منه، ولم تستطع منع نفسها من الارتعاش. حيرتها تصرفاته في اليومين الماضيين، ففي بعض المرات كانت تراه يتأملها بنظرات تسبب لها التوتر.

كان وجهها وعينها شفيا وها هي تكاد تعود إلى حالتها الطبيعية. وبسبب هذا شعرت بعدم الثقة به، فقد بدا أنه يقوم مظهرها ليرى ما إذا كانت «تتناسب مع متطلباته» أم لا، كما قال لها سابقاً، يوم اقترح أن تصبح صديقة الوسادة. وبسبب ريبتها هذه، كانت طاولة الزينة تتحرك فوق قوائمها كل ليلة لتصبح وراء باب غرفة النوم لسده وما أشد ما كانت رغبتها قوية في طلب وضع قفل للباب ولكنها تعلم أنه لن يسمح لها بهذا. أضف إلى هذا أن مجرد ذكر القفل قد يثير فيه الفكرة...

أخيراً تكلم، في الوقت الذي بدأت فيه تتساءل عما إذا كان قد

استوعب ما قالته عن صعوبة إخبار مربيتها بأمر انهيار زواجها السريع.

ـ لا تقلقي فلن تقولي لها شيئاً.. ليس قبل بعض الوقت.

انتفضت كيرا وكاد الجو الهادىء الوقور الذي يتبناه يخنقها:

ماذا قلت؟

قال عابساً: «سمعتني..»

شحب وجه كيرا قليلاً ولكنها ظلت هادئة:

ـ ربما.. ترغب في شرح السبب لي؟

حدجها اندريا بنظراته من رأسها إلى أخمص قدميها، فبانت الكراهية الحادة في عينيه.. الواضح أنه ما زال يعتبرها محتالة، قذرة ومزعجة.. كان يحتل عادة كرسياً يواجه النافذة العريضة المنخفضة، المفتوحة دائماً، للسماح بروائح الأزهار العطرة في الدخول إلى الجناح الجميل..

سمعت صوت زوجها يقول بهدوء:

ـ في اليوم التالي على زواجنا استدعيت أخصائياً من لندن ليرى أمي.. وقرر إجراء جراحة لها فبرأيه أن هناك أملاً بنسبة خمسين بالمئة.. ويبدو أن الجراحة.. كانت ناجحة.

قالت كيرا ببطء:

ـ ناجحة؟ ستعيش أمك؟

ـ هذا صحيح.

هزت رأسها، ونظرت إليه من حيث تقف، وسط الغرفة:

ـ أنا سعيدة بالتأكيد سيد.. أعني اندريا.. لكنني لا أرى كيف سيؤثر هذا فيّ..

صمتت بعدما أخذ زوجها يهز رأسه:

ـ لن يفيدك تصنع بلادة الذهن كيرا.. لقد عرفت أنك رغم

كونك محتالة حقيرة، فأنت امرأة لديها أكثر من المستوى المعروف للذكاء.. وتعرفين تماماً ما أحاول إيصاله لك.

صاحت دون وعي منها:

ـ لا أعرف!

لكن صيحتها في حد ذاتها كانت اعترافاً بأنها تعرف ما كان يوحى إليها، وعضت شفتها بشدة لهذه الغلطة الشنيعة.. وأكملت:

ـ لن أبقى هنا لحظة بعد مضي الأسبوع.. وهل تتوقع مني حقاً البقاء؟ ما طبيعة هذه الحياة التي ستكون بالنسبة لي ولك؟ أنت لا تريدني في منزلك لأنني ألوثه! ولم أسمع قط ما هو أكثر منافاة للمنطق من طلبك إليّ البقاء هنا.

ـ لم يكن طلباً...

ـ فلنخرج من جعل الكلمات موضوع جدال! أهو أمر أم تهديد.. أنا لا أهتم أبداً بما تسميه.. ولن أهتم به! لقد عقدنا صفقة.. وقد أتممت ما عليّ منها، وستحافظ أنت على ما عليك!

تلقى هذا الانفجار بلا غضب.. وبدا كمن يشعر بالإثم بسبب رجوعه عن كلمته.

ـ أفهم مشاعرك بالنسبة لهذه المسألة.. لكن على أمي في الأسابيع الستة القادمة البقاء هادئة.. يجب ألا يقلقها شيء.. فأية صدمة قد تقتلها، وأنا واثق أنك لا تتمنين لها الموت.

ثار غضبها.. ولكنها بدون شك أو ريب لا تريد أن تموت أمه. وفي الوقت نفسه تحب أن ترى هذا المخلوق الكريه في الجحيم قبل أن تقول له هذا!

ـ أنت تثني عليّ بحنان؟ هذا يذهلني!

اشتعلت عيناه، وبدا أن صبره بلغ حده.

ـ توقفي عن التظاهر بمظهر البريئة المجروحة! أنسيت أنك

محتالة، وخاطفة؟ ستبقين هنا حتى تسترد أمي عافيتها.. أفهمت هذا؟

أذهل كيرا الدم القاتم الذي تراه يتسابق بوضوح في شرايين صدغيه.. ورغماً عنها، أحست برعشة خوف.. فالرجل خطير.. خطير جداً. ولكنها لا تستطيع ترك نفسها تحت سيطرته هكذا. احمرّ وجهها غضباً، وفتحت فمها لترد.. لكن اندريا كان يراقب غضبها فذكرها بأن تهديده بالملاحقة القانونية ما زال قائماً، وأنهى كلامه:

ـ لست في موقف يسمح لك بالجدال.

ومضت عينا زوجته الخضراوان مع تصاعد الغضب.

ـ أنت مبتز.. ! والابتزاز جريمة!

ارتفع حاجب أسود، وقال بعذوبة:

ـ من الأفضل ألا نذكر الجريمة كثيراً.

ـ لا فائدة لما تقول. فلنترك جريمتي خارج النقاش!

ـ لماذا؟

لم يكن لدى كيرا أي رد.. فقد صدمها أن تدرك أن غضبها خمد في ثوان، وأن أفكارها الآن منصبة على والدة اندريا التي أحست نحوها بالشفقة وبالحنان عندما رأتها راقدة في المستشفى بشجاعة رغم علمها بأنها ستموت قريباً. لقد أنقذت حياتها ولكنها ما تزال في خطر. الصدمة قد تقتلها.. وهذا الأمر شغل فكر كيرا وتغلب على ما عداه.

أخيراً، اتخذت قرارها، واستدارت إلى زوجها الذي أسر مظهره كل اهتمامها.. لا مجال للشك بأن للرجل ملامح جذابة مذهلة.. بشرته برونزية وجبهته المنخفضة نبيلة، وذقنه مشقوق وشفتاه ممتلئتان وأنفه كلاسيكي إنها جميعاً ملامح اليونانيين القدامى. كان يراقبها فبدا متكبراً متعجرفاً في كل ذرة فيه.. إنه متعجرف لا يلين

ملؤه الغرور والاعتداد بالنفس. لكنها لن تسمح أبداً بأن يعتقد بأنه أخافها لتبقى هنا زوجة له.. إنه يبتزها، وهذا ما ستذكره به. فليعان وخز الضمير، وليحمل وزر نكثه بكلمته، أجل فليتجرأ بعد الآن على ذكر تعبير «محتالة صغيرة»! وسيجد ما لن يسره.

قالت لنفسها: «لو كنت فتاة طيبة، لاعترفت صادقة أنني موافقة على البقاء معه لمجرد قلقي على أمه.. ولو أصريت على المغادرة لما استطعت أن أعيش مع عذاب الضمير».

لكن الحث نحو الصدق التام تلاشى مع تركيز عينيه السوداوين عليها. بدا عابساً مفكراً، فأدركت كيرا أنه يتمنى من كل قلبه لو امتنع عن جلب هذه المجرمة إلى منزله.

قالت بقسوة: «بما أنني أرى أن لا خيار أمامي فسأبقى هنا ولكن أتمنى أن تتذكر ما أنت عليه.. مبتز مخادع..»

نظرت إليه بازدراء من رأسه إلى أخمص قدميه فأشاح وجهه وهذا ما أرضاها.

قال: «لن تخسري بهذا القرار».

وجدت صعوبة في منع الرد الذي تصاعد إلى شفتيها.

ـ وكيف لك أن تعرف هذا؟ إن أرباح مهنتي تتضاعف هذه الأيام.

أدار رأسه.. ونظر إليها غاضباً لكنه كتم ما كان يرغب في قوله، وقال:

ـ حددي مدى خسارتك، وسأعوض عليك.

تورد وجهها خجلاً مما قالت. تركته بدون التفوه بكلمة أخرى وتوجهت إلى جناح صغير يطل على الحديقة والبساتين والتلال الخضراء. إنها جزيرة جميلة، لذا قررت أن تستفيد منها في أثناء إقامتها الإجبارية في «كوس».

تناهت عيناها إلى منزل آخر يقع في أسفل التل.. كان مكاناً يعطي الانطباع بأن من يسكنه شخص غريب الأطوار.. فجدرانه مغطاة بنباتات معترشة وقناطر تركية الطراز أما لشرفاته فسياج خشبي محفور.. بدت الحديقة مليئة بأشياء غير مترابطة من مختلف الأوصاف. هناك بركة لها نافورة، وثمة درجات حجرية بيضاء تقود إلى لا مكان أبداً. وهناك ساقية ماء فوقها جسور من مختلف الأشكال والأحجام.. بعضها من خشب وبعضها الآخر من حجر. وثمة تماثيل لأقزام ملونة تحدق إلى بعضها بعضاً عبر الضفتين، وضفادع خضراء تبدو مستعدة للقفز في أية لحظة سعياً وراء الطعام.

رأت وسط ذهولها طيفاً طويلاً قاتماً.. كان اندريا يسير في الحديقة، توقف ليلتقط وردة وضع غصنها بين أسنانه.. شهقت، وأعادت إليها ذاكرتها الإحساس الغريب الذي عرفته فوق اليخت، حين غادر اندريا مقصورتها.. كان إحساساً لم يسبق أن اختبرته في أية مناسبة سابقة.. إحساس بعدم السعادة ممزوج مع إحساس مثير بالخوف اللطيف.. إنه رجل بكل ما للكلمة من معنى.. رجل قوة.. وها هي والوردة بين أسنانه، وعينا كيرا الخضراوان تلاحقانه، تتذكر انطباعها بأن في هذا الرجل تناقضاً، سمحت لنفسها بأن تتساءل محاولة أن تتخيل مشاعره وهو يحس ما اعتقده مسدساً بين كتفيه.. أحست كيرا بقناعة أن أول ما تبادر إلى ذهنه هو إيقاف السيارة والاستدارة للتعامل مع كائن من يكون جالساً خلفه.. ولكن الحذر انتصر في النهاية.. لا تظنه أذعن للاختطاف أبداً. انكمشت كيرا عندما تذكرت ثقتها بنفسها وتهللها. كانت هي وصديقاتها مؤمنات بالنجاح ولكن الأمور ساءت.

رأت اندريا يجلس قرب نافورة ماء صغيرة، يحدق إلى الرذاذ الذي يتحول إلى ألوان قوس قزح مع انعكاس أشعة الشمس عليه.

فجأة انتزع الوردة من فمه، ورماها بغضب إلى الماء تحت النافورة.. لكنه سرعان ما ذهب إلى الجانب الآخر وبمساعدة غصن قريب، انحنى يستعيدها وأخرج منديلاً من جيبه وأخذ يربت عليها ليجففها فشهقت.. يا له من رجل غريب لا يمكن معرفة ما في كنهه!

توترت أعصاب كيرا وأحست بالقلق يتسلل إليها.. إحساس سبق أن عرفته.. توتر.. ريبة.. ورغبة لا واعية إلى ما لا يمكن الحصول عليه.. اندمجت هذه الأفكار كلها في رأسها حتى تعسر عليها التفكير بجلاء.. اتجهت لتحلل مشاعرها، لكنها فشلت. فكل ما عرفته هو أنها غاضبة فجأة من الرجل الذي هناك.. غاضبة لأنه رفض تقبل قصتها.. غاضبة لأنه بسبب عناده هما تعيسان.. لو استطاعت إزالة وصمة العار عنها، لاعتبرها اندريا نداً له.

غضت كيرا طرفها فوقعت نظرتها على خاتم الزواج.. لامس شيء حاد قلبها كرأس إبرة فسبب لها الألم المبرح.. ولامس شيء من التعقل عقلها. ولكنه هذه المرة تحذير من نوع جديد، المشاعر المجنونة التي دخلت إلى عقلها بغير استئذان؟ كيف ترغب في زوج لا تحبه؟ خجلت من نفسها فارتدت عن النافذة، وعن الرجل الذي تراءى لها هناك.. إنه شيطان في ثياب طفل.. أم العكس هو الأصح؟

ورغم ابتعادها فشلت في إبعاده عن أفكارها.. ما هو الدافع الذي جعله يرمي الوردة؟ أكان غاضباً من اضطراره إلى التراجع عن كلمته؟ هزت كيرا رأسها.. هذا هو سبب تصرفه بكل تأكيد. إنه رجل يحافظ على الشرف.. هذا أمر أكيد.. رجل يضطرب إن أحنث بكلمته. ليته يتقبل قصتها، فلو فعل لاستجابت له ولأراحت ضميره.

رغبت لو تعيش منفصلة عن زوجها، لكنه رفض بشدة قائلاً إنه لن يترك المجال للقيل والقال بين الخدم. فللخادمتين أتيناس وفيليبا ابنتا عم من خدم أمه، لذا من المستحيل أن يعيشا منفصلين.

ـ فهمت.. هل ستبقى أمك هنا حين تخرج من المستشفى.. أعني لبعض الوقت؟

ـ أحاول إقناعها بهذا ولكنها ترفض.. الوقت غير مناسب للجدال، لذا تركت المسألة تمر.

فكرت كيرا بغرفة نومها.. ليس لها باب يفضي إلى غرفة اندريا ولكنها قريبة جداً من غرفتها بل في الواقع تجاورها..

قال يطمئنها:

ـ أنت آمنة حيث أنت، لأنني وجدت أن محتالة مثلك لن تكون رفيقة وسادة مرغوبة مع أنك جميلة الآن، بعدما شفيت من كدماتك وجرحك.

محتالة.. حاولت أن تكتم الرد الذي تصاعد إلى شفتيها، لكنه انسل منها بدافع الغضب:

ـ إن غشاش مبتز لرفيق وسادة غير مرغوب فيه أيضاً.

اسودت عينا اندريا، لقد أصابته في نقطة حساسة.

ـ كرري ذلك مرة أخرى.. وأقسم بالله أنك ستلقين العقاب! أنت لا تقدرين حسن حظك.. لولا أمي والموقف الذي أنا فيه، لأنزلت بك عقاباً كان سيجعلك تصرخين طلباً للرحمة. العبي لعبة الأمان يا فتاة، فإن أهنتني مرة أخرى فلن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي!

قررت كيرا التي شحب لونها ألا ترد علماً أن غضبها يكاد يخنقها. أيبلغ به الأمر إلى تنفيذ تهديده؟ كانت مقتنعة أنه لن يوقع بها أي أذى جسدي، ولكن، وهي تشاهد ملامحه السوداء باتت غير واثقة.. إنه يملك سمات السيادة الموروثة، والتفوق، الذي يحافظ

عليه رجال الشرف دائماً. هو غير معتاد على قلة الاحترام التي تصر على إظهارها له.

قالت كيرا بهدوء وهما على مائدة العشاء ذلك المساء:

ـ اندريا.. هل لنا أن نتحدث بشكل سلمي ولو لوقت قصير؟

أمّنت له طريقة كلامها شيئاً من التسلية، فقد لامست بسمة فمه الحازم.

ـ لوقت قصير؟ بكل تأكيد.

ـ لا أدري كيف أشرح لك مدى الصعوبة التي سأجدها عندما أخبر مربيتي عن زواجي، ثم عن انهياره..

ـ ولكنه لن ينهار الآن فما المشكلة؟

ـ تبقى مسألة الزواج.. لا أعرف كيف أخبرها.. ولكن عليّ أن أتصل بها، فهي ستجن من القلق بلا ريب.

نظر إليها نظرة غريبة.. وقال:

ـ يبدو لي أن اهتمامك حقيقي.. لكن لماذا لم تتصلي حتى الآن؟

ـ لم أتصل ظناً مني أنني سأتحرر من الزواج بعد أسبوع، وقد فكرت ألا أذكر زواجي أبداً.. كل ما عليّ أن أفعله، هو تفسير سبب غيابي. وكنت سأخبرها بأمر.. اختطافي، ثم أقول لها إنني تمكنت من الهرب.

صمتت عندما لاحظت تعابير وجهه، والتقطيبة التي علت حاجبيه.. إنه حائر وهذا يمنحها بعض الأمل.

قال بهدوء: «تابعي.. أنا مهتم بما تقولين».

نظرت إلى عينيه بصراحة:

ـ بنجي.. مربيتي التي هي بمثابة أمي هي الآن بلا شك أو ريب مضطربة.

علق اندريا على كلامها بعد صمت طويل.

ـ أتعرفين.. عندما ذكرت مربيتك في المرة الأولى لم أصدق وجودها.

ـ أنت لم تصدق كلمة مما قلته.

لوّح بيده صارفاً النظر عن هذه المسألة:

ـ الواضح أنها موجودة.. حدثيني عنها. أليس عندك والدان؟

ـ ماتا في غضون ستة أشهر، وكنت يومذاك طفلة صغيرة.. كانت السيدة مونرو وهذا ما كانت تدعى به وقتذاك، أرملة ولها ابنة صغيرة. قدمت طلباً لتربية الأولاد حتى تؤمن نفقاتها.. وكنا ثلاثاً من الميتم.

لم يعلق اندريا بل نفذت عيناه إلى عمق عينيها، تساءلت عما إذا بدأ يشك في حكمه عليها ولكنها لم تستطع قراءة شيء من تعابير وجهه.

ـ وهل الفتاتان الأخريان شريكتاك في الجريمة؟.

شدت كيرا على أسنانها: أجل.. لقد ساعدتاني.

ـ الواضح أن السيدة مونرو لم تنجح في تربيتكن.. فمن الغرابة أن تتحولن أنتن الثلاثة إلى شريرات.

اشتعلت العينان الخضراوان: سألتك إن كان بالإمكان التحادث سلمياً! أيجب أن تهزأ بي دائماً؟

ضاقت عيناه: «سيطري على أعصابك.. لم أر قط امرأة تثور غضباً بهذه السرعة.. اضبطي نفسك قليلاً عندما تكونين معي».

سحبت كيرا نفساً عميقاً مرتجفاً، وركزت عينيها على طبق فاخر من الفضة.. فكرت لبرهة في التقاطه ورميه به. لكنها سيطرت على تهورها، وحاولت مجدداً:

ـ أحاول فقط التحدث عن بنجي.. سأحاول مراسلتها لأخبرها

بزواجي.

صمتت تهز رأسها.

ـ كيف أتمكن من إقناعها بأنني زوجة سعيدة.. لا أدري.. لكن عليّ أن أقنعها.

ـ أتوقع نظراً لمخيلتك الواسعة، أنك ستجدين ما هو مقنع.. لكنني لا أرى سبباً يدعوك لمكالمتي عن هذا الموضوع.

ـ لأنني أعرف مربيتي التي لن تتوانى عن المجيء إلى هنا نظراً للظروف الغريبة المحدقة بزواجي.. تحب دائماً التحقق من الأوضاع الغريبة التي نزج أنفسنا بها. إنها دائمة القلق علينا مع أننا تركناها جميعنا الآن.

ـ ألا يمكنك كتابة رسالة ترضيها؟

ـ هذا ممكن، ولكن قد تقرر المجيء لتتأكد من أنني سعيدة.

ران صمت قصير أصبح فيه وجه اندريا ساخراً:

ـ فهمت الآن ما هو دوري.. يجب أن أمثل دور الزوج الولهان.. لن أفعل هذا.

نظرت إليه والدم يتصاعد إلى خديها:

ـ حسناً! إذن لا تتوقع مني أن أمثل دور الزوجة الولهة عندما تأتي أمك لترانا معاً! بل لن أرافقك إلى المستشفى يوم الجمعة.

صاح بها:

ـ لقد وعدت.. وستفين بوعدك!

ـ أبداً! لا يمكنك جرّي غصباً إلى المستشفى!

صمت مفكراً: «حسناً.. سنعقد هدنة، فيما يخص أمهاتنا. متى تتوقعين حضور السيدة مونرو إلى هنا؟»

ـ أنا لم أكتب إليها رسالة، وقد تضطر للانتظار حتى يتمكن زوجها من مرافقتها.. لا أدري. فهي ليست السيدة مونرو. لقد

تزوجت يونانياً وجاءت لتعيش في أثينا.

نظر إليها باستغراب وفضول:

ـ تزوجت يونانياً.. صحيح؟

ـ ذكرت لك هذا عندما أخبرتك بقصتي، على اليخت.

ـ حقاً؟ لم أكن مهتماً كثيراً.. بدا لي كل ما تقولين زائفاً. ظننتها أكاذيب. ولكن يبدو أن في ما قلته ما هو صحيح.

كادت تصيح به أن كل ما قالته كان صحيحاً.. لكنها تراجعت.. ما الفائدة؟ الرجل عنيد ولا يريد أن يقتنع إلا بما في عقله.

قالت: «إذن.. هل أفهم من هذا أن لا ضير من استضافة مربيتي إن قررت رؤيتي؟»

هز رأسه إيجاباً، وحذرها: «إنما تأكدي ألا تقيم هنا كثيراً. فلست رجلاً صبوراً، يكفيني يومان للقيام بدور الزوج المحب.. ماذا ستقولين لها؟ أتوقع أن يكون أول ما عليك شرحه هو سبب امتناعك عن ذكري أمامها من قبل؟»

ـ سأخترع شيئاً، بمخيلتي الواسعة! أليست هذه جملتك؟

ضحك أمام دهشتها.

ـ تعجبني روحك المرحة كيرا..

أحنت رأسها وكأنها تتقبل جائزة:

ـ يسعدني أن أعرف أن فيَّ شيء ما يعجبك!

التمعت عيناه تسلية، وتمتم: «بل ثمة ما هو أكثر من شيء واحد».

نظرت إليه بحدة، وقطعة اللحم معلقة على شوكتها في وسط الهواء..

ـ أكثر..؟

سرعان ما قرأ أفكارها فقال بقسوة:

ـ بكل تأكيد.. جسدك رائع.. إنه تقريباً أكمل جسد رأيته.

توردت وجنتاها:

ـ آه! أيها المخلوق الكريه! ألا تملك بعض الحشمة والاحترام؟

ارتفع حاجباه:

ـ احترام؟ من يرغب في إظهار الاحترام لامرأة مثلك؟

ردت بصوت مرتعش:

ـ أنسيت أنني زوجتك؟.. تصورت أنك في الوقت الراهن على الأقل تفضل أن تنسى ما أنا عليه.. أعتقد أن عندك في الجزيرة أصدقاء قد أختلط بهم دون شك.. قد تصبح هذه الملاحظات الدؤوب بشأن إجرامي ثقيلة الوطأة عليّ بحيث أنسى أن أكون حذرة وأنا في صحبة أحدهم.. وأكره أن أخذلك بزلة من لساني.

ـ ماذا تقصدين بهذا بالضبط؟

ـ لنا نحن المجرمون اصطلاحاتنا الخاصة.. و.. ومن هذه الأمور. قد أخرج بتعابير مثل أيام السرقة أو غنيمة.. أو عدة ألفاظ أخرى.

تمتم: «أخرى؟ سمي لي بعضها؟»

ـ أتريد.. أن تعرف المزيد؟ حسناً.. هناك تعبير الانتزاع وثمة تعبير آخر لا أظنك تريد سماعه.

ـ بل.. أريد. فأنا مهتم جداً.. أرجوك تابعي.

نظرت إليه كيرا بريبة:

ـ أنت تضحك عليّ.

اختفت النظرة الشيطانية، والعجرفة أيضاً.. كان متسلياً، يثيره الغموض.. ويستمتع بنفسه على حسابها.. ولكنها ويا للغرابة لا تشعر بالسخط.. تلاشى غضبها وعادت أعصابها المرتجفة إلى

طبيعتها وهي الآن متأثرة بشعور غامض لا تفهم كنهه.

- أضحك؟ أخبريني كيرا. متى بدأت بهذه اللعبة؟

- لعبة؟ منذ مدة لا بأس بها.. لقد قلت لك إنها مهنة مربحة.

هز رأسه دلالة لا معنى لها.

- أتوقع أن يكون حسابك المصرفي ضخماً؟

- ضخماً جداً.

- كيف تتصرفين أمام الضرائب؟ أعني.. لا بد أن السلطات تعرف بأمر هذا المال المتراكم.

ومضت عينا كيرا.. ورفع بصره إليها لحظة، وبدا مفتوناً بتعابير وجهها. لم تدرك كم كانت تبدو جذابة، في ثوبها الأخضر الذي اشترته من «كوس» مع ثوب الزفاف.. كان اندريا أكثر من سخي اليد، فهي لم تكن تملك غير ملابسها التي على جسمها.

قالت بتحفظ بارد: «أنا واثقة أنك غير مهتم أبداً بشؤوني الخاصة.. على أي حال.. لن تزعج نفسك بها بعد بضعة أسابيع».

هز كتفيه، وبدا مهتماً بتعابيرها أكثر من كلماتها. أخيراً قال:

- لون عينيك أغرب لون رأيته! إنهما تومضان كزجاج أخضر عندما تثورين غضباً. بل تومضان دائماً.. وشعرك يدل على طباع رديئة، عرفت يوماً امرأة شعرها بلون الزنجبيل..

قاطعته مرتجفة:

- شعري.. ليس بلون الزنجبيل!

- لا..؟ ما لونه إذن؟ لا يهم، ما زال ذلك اللون الذي يتماشى مع طباعك التي سأعمل على كبحها عندما يهدأ بالي.

برقت العينان الخضراوان أكثر من أي وقت مضى:

- أنت واثق من نفسك بشكل مقرف. أكرهك كرهاً شديداً. وكيف ستكبح طباعي؟

ارتفع حاجبه:

- بإمكاني التفكير في أكثر من طريقة.. قد يكون جردل ماء مفيداً..

تورد وجهها مجدداً، ونظر إليها طويلاً، مستمتعاً بتوترها.. أحست بالانكماش فلم تعرف ما تقول.. أدركت بذهول أنها ستكون أكثر سعادة لو كان الحديث ودياً.

تلاعبت باللحم في طبقها:

- لا أصدق أنك قد ترمي جردل ماء عليّ.

- لماذا لا تصدقين؟

رفرفت عينيها: «لماذا؟»

- هذا ما قلته.. لماذا؟

- لا يقدم على هذا رجل مهذب ليس وأنا...

صمتت فجأة وطأطأت رأسها.. وضحك اندريا.. ضحكة جذابة ملؤها المرح.

- أؤكد لك أنني رميت بجردل ماء عليك.

ابتلعت ريقها بشدة: إذن، كان ذلك أمراً قاسياً عديم الأخلاق، كنت تفعل ذلك بامرأة عاجزة، فاقدة الوعي غير قادرة على الدفاع عن نفسها.

- دفاع؟ لم أكن أنوي شيئاً شريراً.. كنت أنثى غير جذابة إطلاقاً ذلك الوقت.

- لم أكن أعني شيئاً من.. لقد وصفت الحالة التي كنت عليها.

قال وكأنه قرر أنه تمادى بما فيه الكفاية:

- كنت مرتدية كامل ملابسك عندما رميت الماء عليك.

رفعت نظرها إليه:

- صحيح؟ شكراً لأنك أخبرتني هذا.

ـ أنت فتاة غريبة كيرا.. سألتك متى انخرطت في عالم الجريمة. وأظن الآن بعدما عرفتك قليلاً، أنك لا تملكين خبرة كبيرة.

كان مزاجه أكثر تسامحاً، قالت بهدوء وأمل:

ـ أنت على حق اندريا.. لا أملك خبرة.

ـ وما الذي دفعك إلى مثل هذه المهنة؟

ـ لقد شرحت لك كل شيء على اليخت.

ـ تلك القصة الخرافية؟ أما زلت تصرين عليها؟

تأوهت:

ـ لن تصدقها أبداً..

هز رأسه:

ـ إنها منافية للعقل بحيث لن أصدقها، ماذا عن المسدس؟

ترددت قليلاً: «قلت لك، لم يكن مسدساً».

ـ ما كان إذن؟

ضاقت عيناه، وأحست بتصاعد غضبه، وتذكرت قناعتها بأن من الأفضل أن يصدق أنه مسدس. ثمة ما حذرها من أنها ستظهر غبية إن ذكرت ذلك.. فهو لن يصدقها أبداً، لا تستطيع أن تلومه.. ولكنها وجدت أنها مضطرة إلى تبرئة نفسها في نظره.

* * *

٦ ـ عينان شريرتان

جلست كيرا في الساحة العامة القديمة على عمود رخامي متداع تستمتع بالصمت وبأشعة الشمس وبالإحساس العميق بأنها في جزء من الماضي.. كانت شجرة نخيل مرتفعة تظللها. فيما كانت تنظر من تحت ظلها، سمحت لبصرها بالتجول بإعجاب في الخرائب الجميلة المنتشرة في الموقع القديم، والحدائق البرّية التي تلمع أزهارها تحت الشمس اليونانية الدافئة المانحة للحياة..

تنهدت كيرا برضى.. إنها تحب الآثار، وهذه الجزيرة كنز ضخم يضم بين جنباته المعابد والمزارات المختلفة.. في الباحة، موزاييك مذهل الجمال تركه الرومان.. في المدرج الرياضي طرقات رومانية، غرف حمام، ومنازل أخرى.. في الكهوف دلائل على أن الجزيرة كانت مأهولة يوماً بسكان ما قبل التاريخ.. لقد زرع اليونانيين، حتى أصبحت كوس جنة ألوان، فيها المنظر يخطف الأنفاس.

ـ هل لي أن أشاركك مقعدك الظليل؟

انتفضت كيرا، كان الرجل الإنكليزي يبتسم، ويهيء نفسه للجلوس.. فتحركت مبتعدة:

ـ بالتأكيد.. فالعمود طويل، ويتسع لنصف دزينة.

ـ أنت لا تعرفينني.. أنا جارك.. لقد رأيتك تتمشين بمفردك.

أعذريني على فضولي.. لا يكلمني اندريا بادولوس، لذا لم أسأله عن ضيفته.. لقد جرى بيننا جدال مرة لأنني بنيت برجاً حجب عنه الرؤية. ولقد هدمته ولكن هذا لم يصلح علاقتنا المكسورة. يعتبرني مجنوناً.. أترينني كذلك؟

أرادت كيرا أن تضحك ولكنها تمكنت من إبقاء وجهها رزيناً، وقالت:

ـ أنت صاحب الحديقة غير العادية؟

ـ لا تخافي أن تقولي ما تفكرين فيه، فأنا الرجل الأحمق هنا.. أترين، أنا قريب بعيد كـ..

وصمت، ثم: ربما يجب ألا أذكر الأسماء.. مع أن الرجل المسكين ميت الآن.. أنا قريب رجل إنكليزي يحمل لقباً مولع بشكل غير طبيعي بالأشياء الغبية.. لم يكن يعرف ماذا يفعل بثروته، فكان يبني كافة أنواع الأشياء الغريبة.. لديه مكان في «لانكشاير»، أيذكرك ذلك بشيء؟.

وجدت مرة أخرى صعوبة في كبح ضحكتها.. يا له من غريب الأطوار! الرجل أحمق.. حقاً!

ـ أعرف ما تعني.. فقد عشت في «لانكشاير». الحديقة العامة غريبة جداً، لكن بطريقة جذابة هناك شيء ساحر في تسلق سلم حجري ضخم يقود إلى لا مكان، أو قطع جسور لا ضرورة لها إطلاقاً حيث لا شيء غير الطريق.

قال الرجل:

ـ أتمانعين إن أشعلت سيكارة؟ رائحتها تبغ قذر.

ضحكت كيرا: «هيا افعل.. لا حاجة بك إلى إذني. حدثني عن أشيائك السخيفة».

ـ لقد رأيت معظمها.. ولا أدري لماذا أبني هذه الأشياء

اللعينة.. أظنني ورثتها من ابن العم اللعين ذاك، البعيد عني ست مرات، كان مجنوناً.

إلام يقود هذا الحديث؟ قالت كيرا وهي تراقب قسماته التي لوحتها الشمس:

ـ لماذا بنيت ذلك البرج، ثم هدمته؟

نفض غليونه، ثم قال: «ليكون لدي برج مراقبة».

ـ وماذا كنت تنوي أن تراقب؟

ـ المناظر.

ـ لكن منزلك على سطح التلة، وهو بذلك مشرف على منظر رائع.

ـ كان حماقة.. والحماقات لا تأتي عن سوء نية. أفهمت قصدي؟ أي نوع من الأسماء لك؟

ضحكت مرة ثانية لطريقة طرحه السؤال: كيرا..

ـ رائع.. كيرا ماذا؟

ترددت قليلاً: «كيرا بادولوس».

اتسعت عيناه الزرقاوان العميقتان، والتصقت أهدابه الطويلة بحاجبيه.. هاتان العينان والرموش ضائعة على رجل.

ـ بادولوس؟.. حقاً؟

ـ حقاً.

نظر إلى خاتم زواجها: فليلعني الله! فتاة إنكليزية!

ـ وما اسمك؟

أخذ يفكر وهو يشعل غليونه: «داندليون ڤينتون ادوارد وست».

ـ وست!

ـ أعرف! اسمي يبدو اسماً أحمق أيضاً.

ـ لا.. لا.. لا يبدو أحمق.. آسفة على إبدائي الاستغراب

نظراً لكل تلك الأسماء توقعت اسم عائلة أكثر ضخامة.

وقهقهت ضاحكة، ثم قالت:

- حدثني عن نفسك. لم أقابل قط شخصاً مثلك من قبل.

- ولن تقابلي.

ونفث دخان غليونه، فسعلت.. أحمق؟ فالدخان كريه!

- أعيش في «كامبرلاند» لكن الإنكليز يتجنبون الحمقى أمثالي، فأنا أحب أن أبني، والجيران يتذمرون ويشكون للسلطات المحلية.. لم أكن محبوباً، فقررت أن أسافر.. هنا، يمكن للمرء أن يفعل ما يشاء، إلا إذا كان جاره ديكتاتورياً مستبداً مثل اندريا بادولوس.. آه! يا للشيطان! لقد أنساني! آسف على هذا.. متى تزوجتما؟

أخبرته فهز رأسه:

- شاهدتك هناك في هذه الفترة.. أتعجبك؟

- إنها جزيرة جميلة.

- صحيح.. لماذا أنت بمفردك هنا؟ ما زلت في شهر العسل..

- لدى زوجي عمل يقوم به.

- حقاً؟ إنه غني حقير، ولا حاجة به للعمل. آسف مرة أخرى يا فتاتي الصغيرة.. لا تحاسبيني على زلات لساني..

سألته بفضول: «هل أنت متزوج؟».

رفع حاجبه الكثيف:

- اسألي نفسك.. هل هناك امرأة عاقلة تتزوج رجلاً مثلي؟

- حسناً..

- لا تزعجي نفسك بالدبلوماسية.. فأنا شخص شاذ قد يدفع زوجته إلى الانتحار في غضون أسبوع.

رنت ضحكة كيرا في المكان الصامت:

- قل لي ما حدث عندما تشاجرت مع اندريا حول البرج؟

- كان البرج يرتفع بشكل جميل.. أعلى وأعلى وأعلى.. حسناً.. يجب أن أعترف أنه أصيب بصدمة لدى عودته من انكلترا. إنه أمر مثير للأعصاب، مشاهدة برج كبير يرتفع بقباحة أمام ناظرك. كان فيه حتى تلك اللحظات مئة واثنان وأربعون درجة، وكان في طور النمو..

انتفض عندما ضحكت كيرا التي كادت تنثني إلى نصفين.

- هذا ما يحدث حين تبني شيئاً أحمق لا معنى له.. حسناً.. جاء زوجك في أحد الأمسيات والغضب في خطواته والجريمة في عينيه.. يا لعيون هؤلاء اليونانيين.. لكن لا شك أنك لاحظت هذا.. أجل.. أين كنت؟

نفخ غليونه فخرجت سحابة رمادية:

- رأيته قادماً، وقلت لنفسي، ها قد أتت المشاكل! وهكذا كان..

قالت بأدب: «فكان أن وافقت على هدم البرج».

- غصباً عني..! لم يكن لدي خيار آخر.. أوه.. لا لم أوافق حالاً.. ربما لم تعانِ علاقتنا هذا الانقطاع لو وافقت فوراً.. قلت له إنني سأفعل ما أريد فهددني بنسفه.

- لكنه ما كان ليجرؤ على شيء كهذا.

- ربما.. ولكنه قال ما قاله بغضب شديد.. فظننته سيؤذيني.. على أي حال قال لي إن عليَّ هدم البرج.. لزوجك قوة ونفوذ في هذا المكان، وكلامه أوامر.. هكذا أعطيت الأوامر بهدمه.. أنا وزوجك لم نتحادث منذ ذلك الوقت.

- وهل بنيت شيئاً آخر مكانه؟

- بالتأكيد.. بنيت قوساً.

- قوساً؟ المخزن الذي تكلمنا عنه اسمه قوس؟

ـ أعرف أنه ليس مخزناً فحجمه غير كافٍ.. لكنني قد أقيم فيه حفلة راقصة يوماً.. هل تأتين إليها؟

ـ بدون زوجي؟

ـ لن يأتي أبداً.. لا.. أعتقد أنك لن تستطيعي بدونه.

ـ غالباً ما يكون زوجي مشغولاً.. وقد أتمكن من المجيء بدونه.. ألديك الكثير من الأصدقاء؟

ـ ليأتوا إلى الحفلة الراقصة؟ لا أسميهم أصدقاء، لكن بالإمكان دائماً إقناع الناس بالمجيء إلى حفلة راقصة خاصة إن كان من يقيمها مثير للفضول مثلي. كم ستبقين هنا؟ هل تناولت الشاي؟

ـ لا.. فكرت في الذهاب إلى «التراڤيناس» لاحتسائه.

ـ أتريدين رفيقاً؟

فكرت في اندريا فترددت.. لكنها قررت أن من المستساغ أن يكون أحد برفقتها.. أحست أنها قد تستفيد من الضحك.

ـ هل توصيني بمقهى معين؟

ـ أذهب عادة إلى مقهى على الشاطىء.. إنه مقهى ممتاز.. هل نذهب إلى هناك؟

ـ حسناً.. أهو بعيد من هنا؟

ـ نستطيع أن نستقل تاكسياً، أو نسير إذا أحببت..

تحدثا وهما يسيران. ولم تستطع كيرا إلا أن تعجب بالرجل، بغض النظر عن غرابة طباعه.. تحدث عن الجزيرة فأصغت إليه تتعطش للمعرفة التي لن تتاح لها بعد مغادرتها الجزيرة.

قال وهما يجلسان تحت ظل مظلة ملونة، حيث راحا يتناولان السندويشات ويشربان الشاي:

ـ ستضجرين من كثرة كلامي.

ـ لن أضجر، فأنا أحب الإصغاء للناس الذين على معرفة

بالأماكن.. أرجوك تابع.

ـ إذن تعالي إلى منزلي، وهناك نستطيع تبادل حديث آخر.

رافقها داندليون حتى البوابة، ثم ودعها بعدما شكرها على صحبتها الممتعة، وسألها عما إن كانت تقبل المجيء إلى منزله بعد ظهر الغد، فهزت رأسها إيجاباً وشكرته على دعوته. ثم ابتعد بخفة وذراعاه الطويلتان تتأرجحان على جانبيه ورأسه إلى الأمام قليلاً فظهر بمظهر الأحدب.. يا له من نموذج بشري!

كانت متأثرة به إلى درجة دفعتها إلى ذكره أمام زوجها ذلك المساء وهما جالسان على الشرفة. كان اندريا يقرأ وكانت هي تحدق باستمرار إلى الجبل الذي يلوح من بعيد بغطائه الأخضر الذي ينيره شعاع البدر.

كرر اندريا عابساً: داندليون وست؟ ابتعدي عن ذلك المخبول.. يجب أن يُعزل. وكان سيحصل ذلك لو نفذت ما أريد.

ومضت عينا كيرا: لقد استمتعت برفقته، في الواقع.. إن نسيت حماقاته وجدته مثيراً للاهتمام.

ـ ومن ينسى حماقاته؟

ـ أنت تحكم عليه بإجحاف.. لقد أخبرني قصة البرج.

ـ هذا هراء! الرجل مجنون.. ابتعدي عنه.

ـ لقد دعاني إلى منزله بعد ظهر الغد.

وضع اندريا الكتاب من يده على الطاولة، واستند إلى ظهر كرسيه:

ـ قلت إنك تعرفت إليه وأنت تتفرجين على الأماكن الأثرية؟ فهل أنت معتادة على التقاط رجال غرباء؟

توسلت إليه لأنها لا تريد أن تغضب:

ـ اندريا.. أرجوك، لا تكلمني هكذا.. لم ألتقطه بل هو من

جاء يجلس قربي في الساحة، وكان مضحكاً..

- مضحكاً غريباً.

- بل مضحكاً ها.. ها.. أليس لديك روح مرحة؟ ذلك البرج مثلاً.. كيف لك أن تختلف معه بسببه؟ كنت سأضحك مدة أسبوع عليه.

- صحيح؟ لكنك لم تريه!

- أعني بعدما اتفقتما على هدمه.. كان أطرف ما سمعته عندما قال كان في طور النمو.

صمت اندريا مفكراً، ثم التوت شفتاه، وقال معترفاً:

- أظنه أمراً مضحكاً الآن. أما في ذلك الوقت فلم أرَ فيه شيئاً من ذلك لأنني كنت يومذاك غاضباً.

- أقدر موقفك.. أخبرني أنك هددت بنسفه.

- كنت سأنسفه لو لم يهدمه.

جلست في كرسي قبالته فبدت جميلة ساحرة. ضاقت عينا اندريا ببطء تستوعبان كل شيء.. فعبست كيرا بارتباك سريع.. لقد نظر إليها أكثر من مرة بهذه الطريقة وكم تمنت لو تجرؤ على مطالبته بقفل لبابها..

أخيراً قال: «لن تذهبي في الغد».

انتفضت كيرا، وارتفع ذقنها بتحد.

- ماذا قلت اندريا؟

- أنت زوجتي.. وزوجتي لا تذهب لزيارة رجال التقطتهم في الشارع.

ران الصمت.. مشحون بذبذبات الغضب. توردت وجنتا كيرا واشتدت قبضتاها الصغيرتان، لكنها سحقت غضبها بسرعة، وتمكنت من الحفاظ على صوتها منخفضاً ثابتاً.

- سأذهب اندريا.. لقد وعدته، ولا أجد عذراً للتراجع عن وعدي. لا ضير أبداً من الذهاب إلى منزل داندليون وست.

قال: «قلت لن تذهبي.. أعرف ما سيكون عليه جدالك.. ولكن من الأفضل ألا تقوليه».

يا لهذه الديكتاتورية الباردة! هل يتوقع منها أن تتحملها؟

- اسمع لن أفعل ما تريد! فلا ديمومة لزواجنا، بل لا زواج أبداً.. لذلك، سأفعل ما يحلو لي.

تناهى إليهما من سفح التل صوت موسيقى أجراس المَاعز.. ما هذا الوقت بوقت الخلافات، أو التشابك. وكم تمنت لو تستطيع التحدث إلى زوجها، لتروي عليه قصتها حتى يصدقها.

تناهى إليها صوته العنيد يقطع أفكارها:

- كيرا.. أظنك تعرفينني بما فيه الكفاية لتتأكدي من أنني سأجعلك تطيعين ما أقول.. طلبي مبرر..

- طلبك؟

- توقعت هذا السؤال.. اعتبريه طلباً.

- لكنه في الواقع أمر؟

حملت نبرة صوتها عذوبة حادة جعلت عينيه تومضان. نظرت إليهما على ضوء المصباح المعلق في الجدار، وتذكرت تصريح داندليون بأن لليونانيين عيوناً شريرة.. وهذا صحيح.. على الأقل بالنسبة لأندريا.. إن عينيه شريرتان ففيهما قوة تخترق المرء، لذا تعرف كيرا أنها لن تستطيع خداعه..

- أقول لك لا تذهبي إلى منزله بعد ظهر الغد.. أو في أي يوم آخر.

ردت بعناد: «وأنا أقول لك إنني ذاهبة إلى منزله.. وسأفعل ما يحلو لي متى أريد».

تنهد.. ولكن لم يكن على وجهه ملامح غضب.

ـ سنترك المسألة الآن كيرا.. لدي شعور بأنك ستعيدين النظر.

فتحت فمها ثم أقفلته.. قد يطول الجدال.. وليس لديها الرغبة في قضاء الأمسية بالشجار.

التقط كتابه، وبعد لحظات من الصمت نهضت للتمشى في الحديقة.. ستخرج والدة اندريا بعد يومين من المستشفى، وستبقى في الڤيلا حوالي أسبوع، ثم تعود إلى منزلها حيث فيه من يهتم بها. لقد أصرت عندما احتج اندريا وفي النهاية اضطر للقبول، ولو استمر في إصراره لأثر في السيدة بادولوس.

قالت بإصرار:

ـ سأبقى أسبوعاً، وسيكون من الممتع رؤيتكما معاً.. يا لها من فتاة عزيزة سيلڤيا.

قالت كيرا عندما تركهما اندريا بمفردهما لحظات:

ـ سيدة بادولوس.. لدي اسم آخر.. كيرا.. وأنا أفضله لذا أكون مسرورة إن نسيت اسم سيلڤيا وناديتني كيرا طوال الوقت!

ـ طبعاً يا عزيزتي، كيرا اسم جميل.. لكن اندريا أشار إليك دائماً باسم سيلڤيا.. فهل سيدعوك كيرا؟

ـ إنه يدعوني به، سيدة بادولوس.

ـ إذن لماذا لم يخبرني؟ ثم.. كيرا عزيزتي، أريدك أن تناديني أمي.

هزت كيرا رأسها. طلب منها اندريا عدة مرات أن تناديها هكذا ولكنها أحست بالخجل.. أما الآن فشعرت بأن من واجبها أن ترد الجميل وتناديها أمي.

عندما عاد اندريا وسمع أمه تنادي كيرا باسمها، انتفض قليلاً.. لكنها سرعان ما شرحت له الأمر، فبدا سعيداً بفكرة تصحيح

اسمها.. إذ قد يرتكب هفوة في يوم ما.

كيف سيتفق الجميع؟ أخذت كيرا تتساءل وهي تسير في الممر المحاذي لمرجة خضراء.. سيكون الأمر ضاغطاً عليها وعلى اندريا.. خاصة اندريا، لأنه يزدريها.

أما هي فستتمكن من معاملة زوجها بود.. لقد درست طباعه بحذر في الأيام الأخيرة فوجدته يمتلك شخصية مزدوجة.. المتوحشة موروثة، إرث من تلك الأيام الوثنية السوداء.. أما شخصية الرجل الذي حمل الوردة بين أسنانه والذي يستطيع النظر بحنان إلى وجه أمه الأبيض.. فهو الرجل الذي يؤثر فيها وبشدة. كان لطيفاً، ورقيقاً، يقلق على أمه ويحزن من أجلها.

كيرا لا تريد لها الموت ولكن متى يمكن إخبارها بالحقيقة؟ لقد تساءلت عقب زيارتها لها أكثر من مرة في المستشفى، كم من الوقت يجب أن يمر قبل أن يحدث الفراق. وهي تفكر في هذا قنعت أكثر فأكثر بالبقاء في الڤيلا، مدة طويلة قادمة.

قال معلقاً: «إنها أمسية جميلة للتنزه سيراً.. هواء الليل مشبع دائماً بروائح منعشة».

تراقصت نبضاتها بطريقة لذيذة.. هذا هو رجل اليوم لا وثني الماضي. هذا هو الرجل الذي يؤثر فيها بطريقة ترفض تحليلها.. لكن، هل تحتاج إلى تحليل؟

ردت على ملاحظته:

ـ أجل.. وأنا أستمتع في هذا الوقت من اليوم.. إنه بارد لذيذ بعد حر الظهيرة. وكما قلت أنت، الروائح ذكية.. ساحرة.

ليتها تكون محقة في ظنها أنه ابتسم.

ـ لا أذكر أنني استخدمت هذه الصفة.

ـ لا.. مع ذلك ستوافقني الرأي بأن الرائحة ساحرة.

ـ أجل.. أوافقك الرأي. هل تسيرين دائماً هنا في الليل؟

ـ منذ وصلت إلى هنا.

سار إلى جانبها فترة.. ثم:

ـ هل سمعت شيئاً عن بنجي التي تكلمت عنها؟

ـ ليس بعد.. أتساءل إن كانت الآن بعيدة عن منزلها.. فربما ذهبت في عطلة مع باولوس إلى مكان ما.

لكنها ستعرف سريعاً ما حدث، فهي تتوقع رداً على رسالتيها اللتين أرسلتهما إلى كارينا وسامنتا على عنوانهما في انكلترا، ولا شك أنهما الآن قد بعثتا الرد.. وكم ستذهلهما أخبارها.. وكم سترتعبان.

ـ لم تتلقي رسائل.

ـ أتوقع وصول رسالة في أي يوم.

ـ من شريكتيك ومن مربيتك؟

ابتلعت غضبها الذي ارتفع إلى حلقها.

ـ أجل.. من كارينا وسامنتا.

بدا أنه يفكر في الفتاتين اللتين ذكرتهما له أكثر من مرة... بعد قليل قال:

ـ لماذا لا تدعينهما إلى هنا لقضاء عطلة؟

تسمرت في مكانها، وكانت دهشتها كبيرة.

ـ شريكتاي..؟

ـ طالما قلت إنهما ليستا شريكتيك في الجريمة.

ـ لكنني اعترفت أنهما ساعدتاني.

ـ لكنك تكرهين الوصف الذي استخدمته بنفسك.

ـ لأنه وصف كريه.

ـ مع ذلك استخدمته.

ـ ألاحظ ردة فعلك.. أعني عرضك غريب جداً.

توقف بدوره، ونظر إلى وجهها يتأمله تحت القمر.. كانت تعرف أنها متوردة، وأن عينيها تومضان إنما ليس غضباً.. ارتجفت شفتاها وتساءلت عما إن كان منيعاً أمام جمالها.. امتقع لونها أكثر فأكثر بسبب هذه الأفكار ورأت عينيه تشتعلان.. فحبست أنفاسها، خائفة، فلم يكن لرجل الأيام الماضية مثل هذا التعبير في عينيه..

ـ أفهم هذا.

لكن كلماته كانت بلا معنى، لأنها نسيت ما هو سببها، كانت ترتجف، ولم تعرف ما إذا كان ارتجافها بسبب الخوف، أم بسبب الإحساس بالترقب الممزوج بشيء من الوجل.. ذلك النوع من الخوف الذي يترافق عادة مع ترقب المجهول.. أتريد هذا الرجل الذي عاملها بغير احترام.. ولكنها سامحته منذ مدة طويلة، معترفة بأن له العذر في كل ما فعله.

همست لنفسها: «ليته يصدق روايتي».

تابعت سيرها تقول: «آسفة، نسيت ما كنا نتحدث عنه».

ـ كنت أقول إنك قد ترغبين في دعوة.. أختيك لعطلة هنا.

تهلل وجهها بابتسامة: «أختاي».

توقفت مجدداً ترفع رأسها إليه لتقول بصوت مرتجف:

ـ شكراً لك اندريا. لقد عطلتا العطلة السنوية. سبق أن شرحت لك الأمر.. لكن هذا غير مهم الآن.. فهما لا تستطيعان المجيء قبل الميلاد.

ـ حتى هذا الوقت؟

لاحظت أنه لم يذكر أنها قد تكون غادرت كوس في ذلك الوقت، وعرفت أنه كان يفكر في الصدمة وتأثيرها على أمه، ووجد أن من الأفضل ألا تحدث قبل وقت طويل..

سأل: ألا تستطيعان المجيء بضعة أيام في الخريف؟

ـ لا أظن.. لكن سأسألهما.

تملكها الحذر، إنه يريد رؤية أختيها.. يريد تقويم شخصيتيهما.. وما إن يفعل هذا حتى يصبح كل شيء على ما يرام. فستكرران القصة التي روتها له.. وعندئذ سيكون مستعداً لتصديقها وفيما بعد..

ارتدت كيرا بغية متابعة السير، ولكنه أمسك معصمها فاستدارت لتواجه زوجها.. أرسلت لمسته ذبذبات إلى جسمها كله.. حاولت بسرعة الخلاص، لكنه تمسك بمعصمها.

تمتم بصوت أجش: «كيرا زوجتي».

شدت يدها بدون جدوى: «لا!»

لكن جانباً آخر منها كان يدعمه.. ماذا دهاها بحق الله؟ لا تستطيع الاستسلام.. ليس لهذا الرجل الذي ما يزال غريباً.. غريباً!.. لكن لا. ربما بسبب خصامهما المستمر، بدا لها أنها تعرفه منذ أشهر طوال على الأقل.

قالت متلعثمة: «أظن أن من الأفضل أن أدخل».

ـ وأنا كذلك.

لكنها كانت بين ذراعيه ترتعش وتقاومه في الوقت ذاته. كان جسدها متشنجاً ومستعداً في الوقت نفسه أن يلين.. ولقد لان. وأصبحت غير مستعدة أبداً للمقاومة.

تعانقا بلهفة وقتاً طويلاً، متمتماً:

ـ أجل يا زوجتي الجميلة.. سندخل.

* * *

٧ ـ الموت ولا العار!

سارا ببطء بدون كلام.. كانت مشاعر كيرا مشوشة، فهي حتى الآن غير واثقة مما إذا كانت ستغير رأيها.. لا تنكر أنها تريد زوجها، وأنها تريد أن تصبح له ليضطر إلى الإعجاب بها ولو قليلاً. وما أشد ما كانت هذه الفكرة ملحة ولكن عليها أن تعترف أن الرغبة، والرغبة وحدها، هي التي تحتل رأسه في هذه اللحظات.. وتعرف جيداً أن الزواج في اليونان بمعظمه مدبّر بحيث قد يتم بلا حب أبداً.. الحب.. لم تكن قادرة على معرفة ما إذا كان ما تشعر به تجاه زوجها حباً أم شيئاً آخر. فجلّ ما تعرفه أنها راضية أن تكون معه عندما يكون في مزاج رائق بالتأكيد. وتعرف كذلك، أن بقاءها في الڤيلا إلى أجل غير مسمى لم يعد يزعجها. لقد تحولت مشاعرها كثيراً في مدة زمنية قصيرة. في البداية كانت تعد الساعات.. ثم جاءت خيبة الأمل التي اعتبرتها تضحية من جهتها ثم اضطرت إلى تأخير رحيلها بسبب الجراحة التي أنقذت حياة أمه.. أما الآن فهي راضية أن تبقى. بل الواقع، أنها لا تفكر ولو للحظة في الرحيل.

نظرت إلى اندريا نظرة جانبية.. كان جانب وجهه متصلباً، غير مبتسم.. فيم يفكر؟ إنها زوجته، وبرأيه أن له الحق في أن يطالبها بحقه. آلمتها الفكرة وأحست للحظات برغبة في التوقف لتقول له إنها غيرت رأيها. ولكنها شعرت بخجل شديد من إثارة الموضوع.

الواقع أن الموضوع محرج، بعدما قطعت عودتهما إلى المنزل عناقهما. بدا لها الذهاب بهدوء إلى غرفة النوم، أمر لا أخلاقي. إنه أمر رخيص، ومزعج. بدأت تعد كل الأعذار التي ستصوغها في كلمات ما إن يصبحا في الداخل. ولكن، لم تتح لها الفرصة لتحتج، فقد التقطها اندريا بين ذراعيه حالما وصلا إلى الشرفة، وحملها إلى غرفة نومها. وضمها بين ذراعيه في اللحظة التي لامست قدماها الأرض، فبدا لها أنه لم يقاطعهما شيء.

عندما انبلج الفجر استيقظت مبتسمة وشعرت بسعادة.. لن يستطيع بكل تأكيد إسعادها هكذا بلا حب! تحرك قربها لكنه لم يستيقظ. نهضت من السرير لتستحم، وكانت مرتدية ملابسها تبدو فائقة الجمال سعيدة عندما فتح عينيه أخيراً، ونظر إليها.

ـ أنت طائر يبكر في الطيران.. ألم تستطيعي النوم؟

شحب وجهها بسبب نبرة صوته وخبا بريق السعادة في عينيها.. قالت بصوت أجش، وفي حلقها غصة صغيرة:

ـ لقد تجاوزت الساعة التاسعة.. لم أستيقظ إلا منذ نصف ساعة.

رفع نفسه على مرفقه، كان شعره مشعثاً فبدا جذاباً بشكل مثير، لكن الغصة استمرت.

ـ تجاوزت التاسعة؟ ولم العجلة؟ عودي إلى الفراش.

عاد اللون إلى وجهها ليغمره، وتمتمت:

ـ سيكون الفطور جاهزاً.

رفرفت عينيها لتحبس الدموع، ما الذي يظنه بها؟ عاد كلامه السابق عن رأيه الوضيع فيها يعذبها فغضت طرفها وتساءلت عما سيقوله فيما لو اعترفت له بأنها تحبه. آه.. أجل تحبه.. لا شك أبداً الآن بهذا في رأسها.

ـ الفطور؟ حسناً يا عزيزتي.. سأنهض ونتناول الفطور معاً.

لم تر عيناه شفتيها المرتعشتين ودموعها المتعلقة بأهدابها.. يعتقد أن التجربة تعني لها ما عنت له.. وتمنت لو تستطيع أن تتراجع ولكن فات الأوان.

اكتشفت أن اندريا يريد إبقاء زواجهما على أساسه الجديد.. حاولت المقاومة فسخر منها، قائلاً إن أرادت أن تقاتل فلا مانع لديه.

صاحت به في الليلة التالية: «أنا لا أعيش معك على أنني زوجة».

لكنه جاء إلى غرفتها، وانتصرت إرادته.. وفي الليلة التالية، لم تستطع الاحتجاج لأن غرفة أمه كانت في مواجهة غرفتها، فاضطرت إلى الصمت.

لكن اندريا قال:

ـ ما الذي حدث لك؟ توقفي عن تمثيل دور الأنثى المتمنعة واقبلي بما هو موجود.

كان غاضباً، فقال أشياء فظيعة لها. ولكنه من وقت إلى آخر كان يعود ذلك الرجل الذي التقط الوردة التي حملها بين أسنانه.. لا.. ليس الرجل.. بل الطفل.. تطلعت إليه بحب وهو مستلق على الوسادة مسترخياً وابتسامة خفيفة تدفىء شفتيه فتاقت إلى تقبيل عينيه المغمضتين، وإلى هدهدة هذا الرأس. ولكنها عوضاً عن ذلك وجدت دموعاً مريرة تتساقط على وجهها فنهضت من السرير وتركته نائماً..

جعلت السيدة بادولوس حياتها مرضية بسبب معاملتها اللطيفة المفعمة بالحب.

قالت لها يوماً عندما كانتا تستظلان تحت شجرة في الحديقة:

ـ أعرف أنني لم أكن أرغب في أن يتزوج أجنبية ولكنني سعيدة

لأنه اختارك.. طالما أردت ابنة، ولدي الآن أجمل ما تصورت..

صمتت قليلاً عندما رأت تورد وجه كيرا، ثم أضافت:

ـ قلت لأندريا دوماً إنه محظوظ.. وأتمنى أن يتذكر دائماً ما أقوله له.. فالزواج مقامرة، وغالباً ما يكون عدم تفهم الرجل لزوجته هو سبب ألمها، والنتيجة تكون سقوط العاطفة من كلا الجانبين.. ولكنه يحبك حباً جماً، وأنا واثقة أنه سيبقى كذلك.

هزت كيرا رأسها بتجهم.. كان تصرف زوجها بحنان غالباً كالملح على الجرح.. فهي تحس دائماً بأن حنانه لمجرد العرض، ولمصلحة أمه التي يجب خداعها.. لكن حنان كيرا كان حقيقياً دائماً. تساءلت كيف له ألا يلحظ صدقها. ربما يكون السبب مقاومتها الدؤوب فهي ليست رفيقة وسادة، وترفض بمرارة أن يعاملها بهذه الطريقة.

أرادت أن تتحداه بمسألة زيارة منزل داندليون ولكنها تخلت عن الفكرة، على أمل أن يعتبر خضوعها له غصن زيتون.. لكن اندريا قال لها بعجرفة:

ـ أنا مسرور لأنك تفهمين ما هو لصالحك. أنت متزوجة من يوناني وإن كنت حكيمة لم تنسي أن الزوج اليوناني هو السيد.

غضبت منه بسبب ذلك ولكنها سيطرت على غضبها.. لم تعد بسبب وجود حماتها قادرة على عجرفته، حتى في خلوة غرفة النوم، فهي ترفع صوتها إن غضبت على عكسه فهو قادر على الكلام بهدوء وصوت منخفض.. آه.. ولكن الخطر يبقى كامناً لها في الكثير من المناسبات، وكانت تكتشف بسرعة أن زوجها مخيف عندما يتكلم بلهجة هادئة، أكثر مما لو رفع صوته.. وهذا بالتأكيد ما لا يفعله هذه الأيام مع وجود أمه.

تلقت كيرا رسالتين في صباح أحد الأيام، ورأت أن نظرات

اندريا المهتمة كانت منصبة عليها وهي تسحب رسالة سامنتا لقراءتها. وكما توقعت، كانت سامنتا مصدومة بما حدث.. وأخبرتها عن القلق الذي عانت منه هي وكارينا: «كدنا نفقد عقلنا كيرا ونحن ننتظر هناك، نتساءل عما أصابك. شاهدنا أنوار السيارة، ثم أضعناها.. عرفنا أنك وصلت إلى ذلك الممر، حيث المنعطف.. ثم توقعنا وصولكما في دقيقتين، ولكن مرت ثلاث وأربع دقائق فقررنا الخروج لرؤية ما حدث. فشاهدنا السيارة تتراجع بسرعة في الممر، وعرفنا أن شيئاً رهيباً قد حدث.. على ضوء المشعل الذي كنا نحمله، شاهدنا قبعتك السوداء تطفو على مياه البركة القذرة، وليتك تتصورين ما كان شعورنا! عرفنا أنك لم تغرقي في البركة، لكننا عرفنا أيضاً أنك إما وقعت فيها أو دفعت إليها. وما لم نفهمه هو إلى أين ذهبت.. في البداية لم نستطع أن نصدق أن الرجل سيأخذك معه في السيارة، ففتشنا عنك، وفتشنا، ظناً منا أنك مخنوقة في مكان ما بين الأشجار، أو مضروبة على رأسك. بقينا هناك حتى طلوع الصبح، ثم تابعنا بحثنا.. وأخيراً ذهبنا إلى الشرطة.. كان الأمر فظيعاً.. لم يصدقنا أحد.. ظنوا أن ما نقوله نوعاً من التهور.. ثم كان هناك بنجي.. لن تعرفي يا كيرا ما مررنا به لنخبرها. فذهبت هي بدورها إلى الشرطة، وصدقوها.. لكنهم لم يجدوك.. ثم علمنا أنك.. تزوجت! نكاد لا نصدق».

«بعد كل هذا، قررت ريبل عدم الهرب مع ذلك الرجل.. قالت لبنجي إنها قررت أنه كبير عليها، وإنها على أي حال قابلت شاباً لطيفاً وتظن أنها ستكون صادقة معه.. ما رأيك بهذا؟ وأنت أيتها المسكينة، تزوجت رجلاً لا تعرفينه، كيف كان شعورك وأنت على اليخت؟ لو كنت مكانك لذعرت من ذلك الرجل ولرميت نفسي في البحر.. إذ لا يمكن الوثوق بهؤلاء اليونانيين».

كانت كيرا تضحك لنفسها بصمت ناسية وجود زوجها هناك، على الناحية الأخرى من مائدة الفطور. تمتمت هامسة، لنفسها: «الموت ولا العار».

لكنه سمعها: «ماذا؟».

ردت بسرعة: «لا شيء».

لكنه قاطعها: «الموت ولا العار؟ وكأن هذه الجملة جزء من مسرحية درامية.. أو كوميدية.. فمن، إذا جاز لي أن أسأل، يختار الموت على العار، ولماذا؟»

لم يكن أمامها غير قول الحقيقة.. كانت لبرهة على وشك تمرير الرسالة له، وبهذا تبرئ نفسها أمامه ولكنها كانت خائبة الرجاء بسبب تصرف اندريا الذي يجبرها على أن تكون خليلته. فهو لا يهتم أبداً بها، وهذا واضح، لهذا باتت لا تهتم بإزعاج نفسها بتبرئة نفسها. ستبقى في كوس حتى يحين الوقت الملائم لعودتها إلى انكلترا..

قالت: «إنها سامنتا.. تقول إنها تفضل أن ترمي نفسها في البحر على المخاطرة.. في..»

وامتقع وجهها، فضحك اندريا، وارتفع حاجبه:

- بدلاً من المخاطرة في خسارة شرفها؟ هل لنساء الغرب شرف هذه الأيام؟

صمتت كيرا شاحبة مجروحة، لكنها عادت تتابع قراءة الرسالة.

أضافت سامنتا تعبر عن المزيد من الإشفاق، تسأل عما إن كان بالإمكان أن تفعل شيئاً لتساعدها.

«أخطأت الرجل».. إنها المرة الثالثة التي تكتب فيها سامنتا هذه العبارة.. من وقت إلى آخر كانت تطالعها هذه الجملة «أخطأت الرجل»..! «لا يبدو لي من الممكن أن تكون مصادفة. لقد عرف

ليونيدس أن ريبل غيرت رأيها.. قالت لنا إنها اتصلت به صباحاً ولذا لا يمكن أن يكون في الأمبريال.. لكن لماذا كان على ذلك الغبي السخيف أن يكون هناك في مرسيدس سوداء! كيرا، أحس برغبة في قتله لوجوده في ذلك المكان في الوقت المحدد.. ماذا ستفعلين؟ أعتقد أنك ستحصلين على طلاق؟ لا يمكنك البقاء متزوجة من رجل لا تعرفينه».

تابعت قراءة الرسالة، وتابع اندريا مراقبة وجه زوجته، ملاحظاً تغير تعابيره المستمر.. بدا عليه الفضول، وكادت تمرر له الرسالة مرة أخرى لكنها تراجعت.. فليبق على قناعته أنها مجرمة.. إذ ستجعل نظرته تلك موقفها أقل إذلالاً.

- أيمكن أن أقرأ الرسالة؟

جاء السؤال بصوت هادىء. كانت يد اندريا المفتوحة ممدودة فوق المائدة وهو ينتظر منها أن تناوله الرسالة. طوتها بعناية قبل أن تعيدها إلى الغلاف. أطبق يده الممدودة، وبشدة. فارتجفت كيرا لسبب غير معروف وارتفعت يدها إلى عنقها كأنما تتذكر قوة أصابعه عندما هدد بخنقها.. ابتلعت ريقها بصعوبة فقد وجدت في حلقها ألماً، من المستحيل إزالته.

كان كل ما قالته: «محتوياتها خاصة بي».

اعتذرت، وتركت المكان لتصعد إلى غرفتها حتى تقرأ رسالة كارينا. كانت على المنوال نفسه، الصدمة وعدم التصديق أيضاً وجمل غاضبة تدين تصرفات ريبل، وتشمئز من نتائج هذه الصدفة.

«لقد لامت بنجي نفسها.. كانت في حالة رهيبة. تقول إنهم قد يجدون جسدك مشوهاً في مكان ما. وأصيبت بالمرض، كما أظن، لأن زوجها قال لها إنه سيصحبها في عطلة إلى مصر.. هي لا ترغب في الذهاب، ولكنه سيجبرها. والآن بعدما راسلتها ستعرف أنك

سالمة.. يا لها من نهاية لتلك المسرحية.. قلت في رسالتك إنك أكدت لبنجي أنك سعيدة بزواجك.. أنا سعيدة لهذا لأنه سيريح بالها.. أتوقع أن نراك قريباً، حين تتحررين.. لا شك أنك تكرهين سجنك».

قرأتها كيرا حتى النهاية، ثم وضعتها جانباً.. كانت بنجي في حالة فظيعة تلوم نفسها.. لقد تصورت أنها مقتولة.. شعرت بالألم لأن بنجي عانت حتى أصيبت بالمرض.. لكن هذا متوقع منها، حقاً، فالحبيبة متعلقة بالفتيات الثلاثة، كتعلقها بابنتها.. ريبل.. تصاعد غضب كيرا وهي تفكر فيها. لقد أفزعت أمها وكانت السبب في هذه المشاكل، ثم تخلت عن ليونيدس، قبل أن تنفذ كيرا والفتاتان الاختطاف..

قبل الاختطاف! آه، لو يتاح لي أن أدق عنقها! لكن كيرا كانت تهز رأسها.. فلولا ما حدث لما قابلت اندريا، ومع أنها مجروحة وخائبة الأمل.. إلا أنها لا تستطيع أن تقول إنها نادمة على ملاقاته.. ما أغرب الحب! لكانت أفضل حالاً لو لم تقابل اندريا، ولما كانت تعاني من هذا الألم في قلبها.

بعد أسبوع على هذا، وصلت رسالة من بنجي.. وكانت أروع رسالة تلقتها أو قد تتلقاها كيرا في حياتها، لقد تقبلت بنجي قولها لها بأن زواجها سعيد بلا ريب. لكنها أرادت أن تعرف المزيد المزيد عما قالته لها كيرا في رسالتها التي تلقتها لدى عودتها من مصر.

«إنها معجزة، فلم أتوقع رؤيتك حية مرة أخرى. أما متزوجة من ذلك الثري اليوناني الفاتن فهذا أبعد ما تصورته. أنا سعيدة من أجلك، لأنني سعيدة في زواجي. تصوري أنك اختطفت ثم وقع الرجل المذهب في حبك، ورغب في الزواج بك.. الأمر كله رومانسي وأظن أن كارينا وسامنتا تحسدانك.. والآن عزيزتي متى

يمكننا المجيء لرؤيتك؟ يجب أن أراك حبيبتي لأطلع على أوضاعك. لا أستطيع المجيء فوراً، لأننا عدنا لتونا من عطلة. لم تكن عطلة بالنسبة لي لأنك لم تبرحي تفكيري لحظة ولكن كل شيء انتهى الآن. وأستطيع الابتسام مجدداً. حسناً حبيبتي كيرا.. سنأتي لزيارتك حالما يتمكن باولوس من إيجاد الوقت المناسب.. إنه متشوق مثلي لسماع أخبارك عن تلك المغامرة.. أعتقد أن الفتاتين راسلتاك.. ولا شك أنهما أخبرتاك كل ما مررنا به، لذا لن أزعجك بإعادة سرده. ولا شك أنك عرفت أن ريبل غيرت رأيها، وهي الآن مستقرة مع شاب ساحر».

أنهت بنجي رسالتها بالقول: «لك حبي كيرا.. انتبهي على نفسك.. بنجي..»

دمعت عينا كيرا.. لن تحب أمها الحقيقية أكثر مما تحب بنجي.. ما أغلاها وأحبها.

التقت كيرا داندليون مرة أخرى وهي تتمشى على الطريق الريفية بعد ظهر يوم كان فيه اندريا في مكتبته.

نادى داندليون كيرا من مكان ما من حديقته.

ـ مرحباً.. ادخلي.. لدي حماقة أخرى أريك إياها!

فتحت كيرا البوابة ودخلت، تفتش: أين أنت؟

ـ هنا.

برز من بين الشجيرات وفي يده رفش.

ـ كنت أحفر لأركز طوطم.

ـ ماذا؟

ـ إنه شيء محفور باليد، رأيته في دكان في أثينا يوم كنت هناك، ولم أستطع مقاومته.. تعالي وانظري إليه.. كله دجاج.

ـ دجاج؟ أقلت دجاج؟

- أجل.. أنا واثق أن الذي نحته كان مزارعاً.. أو على الأقل نحت لمصلحة فلاح.. ففيه منحوتات دجاج أكثر من أي شيء آخر، هل لديك أية فكرة لماذا؟

صمتت كيرا.. بدأت عيناها النظر من أسفل الطوطم، حتى أعلاه.. أخيراً سألت وهي توشك أن تغرق في ضحك هستيري.

- خمس عشرة قدماً؟

لا شك أن داندليون ڤينتون ادوارد وست مجنون كلياً ولكنه غير مؤذ.

- آه! لا.. لا أظن هذا، ربما ثلاث عشرة قدماً. الدجاج.. انظري، إنه في كل مكان.

تمكنت من كبح ضحكها:

- وما نفعه؟

فتح يديه بنفاد صبر: لا نفع من الأشياء الغبية! فكرت في وضعه وسط المرجة.. ولكن زوجك اللعين قد.. اللعنة!.. سامحيني كيرا.. هل تحبينه؟ أعني سيكون أسهل عليّ إن كنت لا تحبينه.

- تزوجت حديثاً.

- وماذا تعنين بذلك؟ اندريا بادولوس يوناني، ولا يتزوج اليوناني من أجل الحب. وهو ثري، وهذا يجعلني أعتقد أنك تزوجته من أجل ماله.

لا يمكنها أن تغضب منه.. صدمها أن تعترف بأنها لو قال لها زوجها شيئاً كهذا لغضبت حالاً.. لكن داندليون ڤينتون ادوارد وست شخص غير مؤذ وغير معادي رغم ما تحتويه كلماته.

- أؤكد لك أنني لم أتزوج اندريا من أجل ماله.

نظر إليها متسائلاً: «من أجل الحب إذن؟».

- للحب.. هل لنا أن نخرج من هنا؟ أسمع طنين البعوض.

- أيزعجك؟

- جداً.

- سأعطيك شيئاً تضعينه قبل أن تلذغك.. إنها لن تلدغك إن دهنت من هذا المرهم.

- شكراً لك.. لو أعطيتني اسم المرهم لاشتريت واحداً.

- لا، بل سأعطيك الأنبوب. لا أحتاج إليه.

خرجت كيرا من بين الشجيرات مسرورة:

- هكذا أفضل.. لكن، لن ترى الطوطم هناك.

- لا. ظننت أنه سيكون مناسباً وسط المرجة، ولكن زوجك سيراه.. من غرفة جلوسه.. ولا يمكنني البقاء على خصام مع الجيران.. والآن، ما الذي ترغبين في مشاهدته؟ آسف على الصداع الذي أصابك ذلك اليوم.

توقف يعقد حاجبيه الكثيفين:

- أكان صداعاً أم هو اندريا بادولوس؟.. يا له من ديكتاتور لعين! عرفت أنه سيمنعك من زيارتي.. هل فعل؟

هزت كيرا رأسها على مضض: «أجل، منعني».

- يا للأسف.. هكذا هم اليونانيون، لا أدري لماذا جئت أعيش معهم.

- كوس مكان جميل.. ولا يمكنك أن تختار مكاناً أفضل لتعيش فيه.

- وكيف تعرفين؟ أكنت في مكان غير هذا؟

تورد وجهها قليلاً: «لا..»

- مع ذلك فأنت على حق.. كان يمكن أن يبدو الطوطم مناسباً هناك.. وربما سأنقله.

- آه! لن أفعل هذا لو كنت مكانك.. فكما قلت، سيفسد علينا

المنظر.

هز رأسه مستسلماً: «تعالي وانظري إلى الجسر الحديد الذي صنعته».

توقف داندليون قرب آخر حماقاته ينظر إليه بإعجاب.

- هل أعجبك؟ إنه تصميم ياباني.. إنهم رائعون في تصميم الحدائق. هل زرت حديقة يابانية من قبل؟

- ليس في اليابان..

- أعرف هذا، أيتها الفتاة السخيفة! أعني في أحد المنازل الفخمة، فهي دائماً تفتح أبوابها للناس.. لا بد أنك زرت أحدها.

- أجل.. زرت أحدها.

نظرت إلى ساعتها: «يجب أن أذهب.. تتوقع حماتي مني تناول الشاي معها».

- صحيح!.. كانت مريضة، كما سمعت؟

- مريضة جداً. لم يكن لديها أمل.. ولكن، أجريت لها جراحة، وهي الآن تسترد عافيتها.

- أنا مسرور لها.. قابلتها مرة واحدة.. في حفلة أقامها ابن أخيها، اسمه بيدرو.. إنه شاب طيب.. لا يشبه زوجك. وكما قلت أنا معجب بالسيدة بادولوس.. لقد تحدثنا عن الحماقات، وقالت إن المرء حر في فعل ما يشاء.

بعد دقائق قالت كيرا له:

- وداعاً داندليون، وشكراً على الجولة في الحديقة.. لقد استمتعت تماماً. سأعود ثانية حين أمر بهذا المكان.

- أرجوك كرريها، فأنا هنا دوماً في مكان ما.. ناديني.

- سأفعل. ولكن لا تنقل الطوطم من مكانه.

وضحك داندليون.

في أثناء العودة كانت تفكر فيه. إنه رجل ذكي، لكنه بحاجة إلى زوجة. ذكرت هذا أمام حماتها التي وافقتها الرأي.

- الرجل المسكين لا يعرف ماذا يفعل بنفسه. أعرف أنه ورث لوثة الحماقات. أذكر أنه قال لي إن أحد أقرباءه عانى من اللوثة ذاتها.

ذكرت كيرا لها ذلك المكان في لانكشاير حيث أقام قريبه حماقاته وأكملت:

- المنتزه الآن عمومي.. والأطفال يحبونه جداً.

- أتوقع أن يحبوه، لكن فلنعد إلى داندليون...

- ومن يريد العودة إلى داندليون؟

رفعت المرأتان رأسيهما إلى اندريا الذي ينضم عادة إلى أمه وكيرا لتناول الشاي. وعيناه مثبتتان على وجه زوجته، ثم سأل: حسناً؟

فأجابت أمه:

- كنا نقول لتونا إنه بحاجة إلى زوجة.. ألا توافقنا الرأي اندريا؟

- زوجة؟ يا إلهي! ومن يتزوج أحمقاً مثله؟

- الرجل المسكين وحيد.. رافقته كيرا بعد الظهر، وشاهدت التماثيل والجسور والأشياء.. إنه بحاجة إلى ما يثير اهتمامه.

- أكانت في رفقته؟ صحيح؟

- هذا صحيح.. لقد اشترى طوطماً..

- طوطم؟ ولماذا يريد أحد طوطماً؟

قالت كيرا: «حماقة أخرى. لكنه جذاب في الواقع، وهو محفور بشكل رائع».

أجاب بعدم تصديق:

- صحيح؟ منذ متى تهتمين بالفن؟

كانت سخريته واضحة.

تورد وجهها، لكن عينيها اتجهتا إلى حماتها، التي كانت تنظر إلى ابنها بمزيد من الدهشة.. سارع وقد أدرك خطأه إلى الابتسام في وجه زوجته التي ابتسمت رداً.. لكنها كانت مستعدة له بعد قليل، عندما واجهها بشأن الزيارة التي قامت بها إلى منزل داندليون.

- سأفعل ما أشاء! لست عبدتك. لا تظن أنك قادر على معاملتي كما تريد.. إن لم تكن حذراً رددت عليك! أمثل هنا دوراً إنما هذا الدور لا يعني أنني لن أضجر من التمثيل.. و.. تذكر فقط ما أنت عليه.. غشاش ومبتز!

ارتدت إلى الوراء وهي تتكلم، فالخطر كان يشب من عينيه السوداوين. أضافت: «ليس لك الحق في إملاء إرادتك علي».

تابع اندريا النظر إليها بصمت.. أحست بلونها يتلاشى، وبخفقان غريب في صدرها.. كيف حدث أن وقعت في حب مثل هذا الرجل؟ ستكون الحياة معه لعنة خوف طويلة.

قال أخيراً بصوت خفيض:

- إن تجرأت على ذكر كلمات الغش والابتزاز مرة أخرى فستشعرين بقوة أصابعي حول عنقك.

صاحت به: «أنت.. أنت تعتبرني.. مجـ.. مجرمة..»

أضافت: «ما الخطأ إن زرت داندليون.. إنه إنسان وحيد غير سعيد. لو استطعت إعطاءه بعض السعادة..»

- سعادة؟ بأية طريقة؟

- أنت كريه!

وارتدت عنه، لكنه أدارها ثانية إليه:

- ابتعدي عنه.. أتفهمين يا فتاة.. لا تقاطعيني! يا إلهي! قلت

ابتعدي عنه، وأنا أعني ما أقول!

بللت شفتيها وسألت: «اذكر لي سبباً واحداً».

- أستطيع أن أذكر لك سبباً ممتازاً لكنني لن أفعل.

ترك كتفيها ولكنه رفع لها رأسها بيد قاسية تحت ذقنها.. أرسلت قسوة لمسته وعجرفتها الغضب إلى عروقها.. مع ذلك لم تجرؤ على دفع يده عنها.

قال ناصحاً:

- ابتعدي عنه.. وإلا شعرت بالرثاء على نفسك وقتاً طويلاً.

* * *

٨ ـ في يده السوط

فكرت كيرا عابسة وهي تجول في خرائب معبد «الاسكليبيون» أن من الغريب ألا يشعر اندريا بالوضع، وكأنما هو واثق أنها لن تفعل ما يؤذي أمه. وهذا يعني أنه ينظر إليها بنظرة أقل احتقاراً من السابق.. لكن، إن كان يؤمن أنها تأخذ بعين الاعتبار صحة أمه وراحة بالها، فكيف له أن يصدق بأنها مجرمة قاسية؟

أبعدت كل المسألة المقلقة عنها، وركزت على التمتع بزيارة معبد «الاسكليبيون» الذي علم فيه أعظم الأطباء في العصور القديمة، أبقراط، ومارس عمله بعد بناء مستشفاه الرائع.

تقدم منها مرشد سياحي يوناني ابتسم لها فردت عليه الابتسام شاكرة عونه. سارا تحت أشعة الشمس ثم ما لبث أن انضم إليهما جماعة من السواح الأميركيين المرحين. كانت النساء مرتديات الثياب المبهرجة البسيطة.. فوجدت نفسها تتحدث إلى فتاة في مثل سنها، والدها بين المجموعة. قالت الفتاة لكيرا:

ـ نقيم الآن في «اليكساندار».. وسنبقى هنا أسبوعاً ثم نذهب إلى «رودس» وأنت..؟ هل أنت في إجازة؟

ـ لا.. أنا أقيم هنا.

ـ صحيح؟ أنت محظوظة! لديك عمل من نوع ما؟

قالت كيرا بهدوء: «أنا متزوجة بيوناني».

ـ متزوجة من يوناني! إن هذا لمثير.. أحب أن أتزوج يونانياً.. إنهم بارعون في الحب! يقال إنهم أعظم عشاق العالم.. أتوافقين على ذلك؟

اضطرت كيرا للضحك:

ـ بما أنني لم أعرف أحداً غيره، فلست في موقف الموافقة أو عدمها.

تجاوبت الفتاة مع ضحكتها:

ـ أفهم ما تقصدين.

وتقدمتا إلى حيث وقف المرشد الذي أشار إليهما بالإسراع.

انتهت الجولة أخيراً في الموقع. واستقلت كيرا تاكسياً إلى بلدة كوس، حيث تناولت غداءها ثم استقلت تاكسياً آخر إلى الڤيلا.. كانت حماتها قد غادرت قبل يومين، وعاد المنزل مرة أخرى لكيرا ولزوجها. وزارا الأم في الأمسية المنصرمة وكم أعجبت كيرا بڤيلا الأم الصغيرة الفخمة الأثاث، التي كانت تقف وسط حدائق غنّاء.

كان بيدرو وشقيقته غابريللا موجودين هناك أيضاً. ولكنهما لم يدعيا إلى الزفاف، وفي اليونان يتحتم على العريس دعوة الأقرباء إلى حفلات الزفاف، لذلك كان الأخوان مهتمين كثيراً بزوجة خالهما.

عالجت كيرا الموقف الصعب جيداً، فقد أدركت أنه قد حذرهما، لأنهما كانا حذرين في كل ما يقولانه أمامها..

قال حين قدمها: عرفتماها باسم سيلڤيا ولكنها تفضل أن تدعى باسم آخر، كيرا.

بعد انتهاء الزيارة، صاحت به غاضبة:

ـ يجب أن تشكرني لأنني لم أفضح الأمر.. كان بإمكاني خذلانك.

ـ وسيكون ذلك على حسابك.

- لا يمكنك إظهار العرفان بالجميل..

- لا أريد تحمل المزيد من نوبات غضبك.. هددتك مرة بلجم هذا الطبع فيك! فراقبي نفسك فقد أقرر تنفيذ التهديد!

فكرت كيرا وهي في التاكسي في طريق العودة إلى المنزل، أن لأندريا دائماً الكلمة الأخيرة، فقد تركها تغلي حتى تمنت من كل قلبها لو أن لديها القوة الجسدية لتعاقبه وتزجره عندما دخل فيما بعد تلك الليلة إلى مخدعها.. كان يدأب دوماً على القيام بدور الغازي المنتصر.. صاحب الحقوق.. وهي حقوق ينوي تنفيذها.. الواضح أنه ينظر إليها على ضوء ما يناسبه، فهو لا يتكلم عن الحب ولا ينظر إليها كما ترغب. إنها زوجته وفي الوقت ذاته رفيقة الوسادة فقط.. كان الإذلال يتعاظم طوال الوقت، وكانت تعلم أنها في النهاية ستفقد القدرة على التحمل. وهذا ما حذرته منه، لأن أمه الآن في حالة تمكنها من تحمل صدمة انهيار زواجهما، وستغادره كيرا إلى أثينا، ثم تعود إلى انكلترا.

كررت هذا التحذير فيما بعد، عندما ترجلت من التاكسي، ووقفت مع زوجها الذي كان خارجاً من غرفة الجلوس إلى الشرفة. وقفت تحت، على الدرج، ثم رفعت نظرها إليه، وابتسامة جاهزة مرتسمة على شفتيها، بحثاً عن دليل عن مزاجه. لكن وجهه كان قاتماً.

- أين كنت؟

بدأت ترتقي الدرج:

- في الاسكاليبيون.

- بمفردك؟

- طبعاً.. كيف لي أن أذهب مع شخص آخر؟

ضاقت عيناه بما يشبه الإهانة فكبحت كيرا الغضب الذي هدد

بالانفجار.

تمتم: «جارنا مثلاً».

ومضت عيناها كالعادة.

- وماذا لو كنت معه؟

- اشكري الله لأنك لم تكوني معه.

تابعت ارتقاء درجات السلم إلى الشرفة.

- أنت تدفعني أن أتحداك.. نظرتك إليه سخيفة. فالرجل مسالم.

فتح فمه ثم أطبقه. ماذا أراد أن يقول؟.. تعتقد أنه كاد يقول شيئاً حاداً لا لزوم له.. دخلت إلى المنزل ولكنه لحقها، وهناك كررت تحذيرها بأنها أكثر من مستعدة لترك هذا المنزل.

اشتعلت عيناه، وقال بهدوء: «أنسيت أن في يدي السوط؟».

- لا تنفك عن ابتزازي.

ارتدت بحذر إلى الوراء، لأن الجنون سيطر على اندريا. قفز إليها، فصرخت ألماً من قبضته المتوحشة على كتفيها.

- قلت لك ألا تكرري هذه الكلمة مرة أخرى! سوف.

وصمت.. فاستدارت كيرا تنظر إلى الفتاة المتوقفة هناك. فتاة شقراء الشعر، زرقاء العينين. كانت ترتدي بذلة أنيقة وتعتمر قبعة صغيرة لطيفة وكانت تحمل حقيبة ملابس صغيرة، وحقيبة يد جلدية تصل إلى حذائها.

شد اندريا على كتفي زوجته: «سيلفيا». ثم وقعت يداه إلى جانبيه.

- من أين أتيت بحق الله؟

قالت الفتاة إنها جاءت بالتاكسي الذي أنزلها أمام الباب الرئيسي. وأضافت وعيناها تستقران على كيرا التي ابيضّ وجهها

وضمت يديها بعصبية:

ـ لقد دفعت أجرته.. هل وصلت في وقت غير مناسب؟

كان صوتها ناعماً.

عبس اندريا بشدة، وأرادت كيرا أن تضحك، لأنها كانت ترتجف من الداخل. إن الموقف مضحك. عرفت كيرا رضى حقود لأن زوجها مرتبك.. ولكنه سرعان ما استرد رباطة جأشه.. فما هو بالرجل الذي يرتبك مدة طويلة.

مد يده ليتناول القبعة التي انتزعتها:

ـ لماذا لم تخبريني بقدومك؟

راقبت كيرا هذا الرجل بذهول، بدا ساحراً مؤدباً عندما أخذ القبعة. انتظر حتى فتحت سيلڤيا أزرار سترتها، ليدفع لها كرسياً تجلس عليه.

ـ فكرت أن أفاجئك.

وضع القبعة على طاولة:

ـ ولقد نجحت.. أعرفك إلى زوجتي، كيرا، هذه سيلڤيا.

شحب وجه الفتاة، وغدا أبيض كوجه كيرا:

ـ زوجتك؟ لا يمكن أن تتزوج كيرا.. لم يكن لديك الوقت الكافي!

قالت كيرا: «سأترككما».

وغادرت الغرفة.

كررت سيلڤيا وكيرا تغلق الباب وراءها:

ـ لا يمكنك أن تتزوج! آه.. حبيبي، لا يمكنك فعل هذا بي!

وقفت كيرا خارج الباب الموصد تشعر بدوار، الفتاة جميلة ونحيلة كحورية بحر وجذابة. والأنكى أن اندريا كان يحبها.. هل هذا صحيح؟ تذكرت انطباعها بأنه بدا غير منزعج من فسخ

خطوبته.. مع ذلك، لم تكن سيلڤيا فتاة يمكن تجاهل سحرها. وإن مضى قدماً اندريا إلى درجة خطبتها، فلا شك أنه شعر بشيء نحوها.

ما الذي يجري داخل الغرفة؟ أهما الآن في أحضان بعضهما بعضاً؟ أغمضت كيرا عينيها بشدة.. إنها تمتلك الشجاعة لكن هذا الموقف سحقها.. الغيرة موجودة مع أنها تريد الرحيل عن زوجها.. لكن، أن ترحل وهي تعرف أنه وحيد، مختلف عن ترك امرأة في متناول يده.. ارتفع ذقنها، وبرقت عيناها.. فلنفترض أنها قررت عدم الرحيل؟ لن يستطيع اندريا رميها.. لكن، ما هي إلا لحظات حتى انخفض رأسها وتهاوت كتفاها. ليس اندريا لها... ولم يكن، ولن يكون لها يوماً.. وإن كان لأية امرأة الحق بالمطالبة به، فهي سيلڤيا.

أسر اهتمامها فجأة داندليون الذي كان يسير باتجاه منزله.. فرمت عنها أفكارها، وتركت المنزل من الباب الجانبي، لئلا يراها زوجها أو مرافقته. لحقت بداندليون في اللحظة التي كان يهمّ فيها بالدخول إلى ممر ڤيلته الداخلي.

حيته مقطوعة الأنفاس: «مرحباً.. شاهدتك تسير وفكرت في الاقتراب لتبادل الحديث».

لكنها كانت تسعى لصحبة أحد حتى تمنع نفسها من التفكير في ما يجري هناك..

ـ عظيم.. أنا مستعد للحديث. فلم أتكلم مع أحد طوال اليوم.

قالت تسير على خطاه.

ـ ذهبت اليوم إلى الاسكاليبيون.. إنه رائع!

ـ وأنا أظنه كذلك. ذهبت إليه مرة فقط.. يجب أن أذهب مرة أخرى.. يمكننا أن نذهب معاً إن أحببت؟

ـ حسناً، إنما ليس في وقت قريب..

نظر إليها جانبياً فأذهلها حاجباه الكثيفان. أرادت أن تأخذ مقصاً وتقلمهما.. قالت، تتمنى أن يتوقف دماغها عن الإتيان باندريا أمام عينيها:

ـ هل اقتنيت شيئاً جديداً؟

ـ منذ الطوطم؟ لا، أترغبين في بعض الشاي؟.. اجلسي إذن.. سأذهب لأحضره.

ـ أليس لديك خادمة؟

ـ لا أستطيع تحمل عبء هذه الآفة.. فإن لم تكوني قادرة على دفع راتب مرتفع فلن تحصلي على الخدمة المطلوبة.. لدى زوجك المال للدفع.

ابتسمت رغم كآبتها العميقة. لو قلل داندليون من النفقات على حماقاته، لاستطاع تحمل نفقات خادمة.. عاد حاملاً الشاي في برهة قصيرة لا تصدق.. قال لها إنه يحضّر لنفسه كومة كبيرة من السندويشات في الصباح الباكر.

ـ هكذا، لا يبقى لدي ما أفعله طوال اليوم.

ـ وهل تعيش على السندويشات فقط؟

ـ لا عيب فيها عزيزتي.. سكر؟

ـ ملعقة واحدة.. أرجوك.

ـ أنت غير قلقة على شكل جسمك؟

لسيلڤيا جسد رائع:

ـ ليس بعد.. ربما فيما بعد.

ـ فيما بعد بكل تأكيد.. إنه العمر الذي لا يمكن أن نتجنبه. هاك كيرا.. ساعدي نفسك بالسندويشات.. لماذا أنت وحيدة دائماً؟ لا أرى زوجك معك إلا في الحديقة من وقت لآخر. أراكما من الشرفة الخلفية.. لكنني لا أستطيع رؤية المرجة الأمامية.. كيف

حال السيدة بادولوس؟ علمت أنها عادت إلى منزلها.

ـ إنها تتحسن بشكل رائع. شكراً لك.

ـ إنها معجزة.. أعتقد أن زوجك سعيد بتغير مجرى الأحداث.. يفكر اليونان في أمهاتهم أكثر مما يفكرون في زوجاتهم.. ها قد عدت ثانية! لكنك بت تعرفينني.

تمكنت من الابتسام.. أكل شيء على ما يرام الآن بين اندريا وسيلڤيا؟

ـ أجل، داندليون.. أفهمك.

ـ تعجبيني كيرا.. أخبريني، كيف تنظرين إلى الحياة الزوجية؟

انتفضت، فهذا آخر ما توقعته من أسئلة.

ـ رائعة.

لكن حتام تدوم؟ ربما اندريا وسيلڤيا الآن يتناقشان مسألة اعترافه لأمه بالحقيقة، وبهذا، يحضران الطريق للمّ الشمل بسرعة.. لكن.. لا. اندريا لن يخاطر أبداً بأمه.

علق داندليون وهو يراقب تعابير وجهها:

ـ لا أراك متحمسة.. فيم تفكرين؟

ـ لا شيء.. لا شيء مهم.

أزعجت تعابير وجهها داندليون على ما يبدو، فقال بعد صمت قصير:

ـ أنا مستمع جيد كيرا.. وأحفظ السر جيداً.

ـ ما قصدك؟

ـ حسناً، لا تخبريني بشيء. مزيد من الشاي؟ وماذا عن السندويشات أيها شيء؟

مالت إلى الأمام لتتناول سندويشاً:

ـ تعرف أن ليس فيها شيء.

ـ أنا قلق عليك كيرا. أعرف أننا لم نتعارف إلا مؤخراً. ولكننا صديقان.. ألسنا صديقين؟

ابتسمت ابتسامة ضعيفة: «بالتأكيد».

ـ هل أنت غير سعيدة بسبب شيء ما.

نظرت إليه بسرعة وهي تحس فجأة بأنه رأى سيلڤيا تدخل إلى الڤيلا.

ـ لا شيء داندليون.. شكراً لأنك منزعج بسببي.

جادلها: «أعرف أن عندك مشكلة.. امرأة أخرى؟ يميل هؤلاء اليونانيون إلى اقتناء «الحريم» فهنا الأزواج لا يخلصون لزوجاتهم طويلاً».

ترددت. كانت عيناه صريحتين فأرادت على حين غرة أن تفضي إليه بما في نفسها، ربما سيريحها من الألم الرهيب ومن الخوف والقلق.

أصغى إليها داندليون وتعابير وجهه ثابتة بشكل غريب.. أحست بشيء من خيبة الأمل لأنه لم يكن يظهر لها التعاطف، ولم يعلق بشيء، بدأت تتلعثم نادمة على اعترافها.. وما كانت لتقوم به لولا إحساسها بالإحباط.. ولولا معرفتها بأنها مغادرة في المستقبل القريب.

ـ هذه هي القصة كلها.

علق مفكراً: «وهي قصة غريبة غير عادية.. أنت شابة شجاعة لأنك حاولت اختطاف رجل».

ـ ساعدتني شقيقتاي.

ـ وإن يكن، إنه عمل شجاع.

كان همها الآن أن تمنع أي سؤال قد يطرحه، فنظرت إلى ساعتها، وقالت إن الوقت حان لتذهب.

ـ لم يطل بقاؤك هنا عزيزتي. أيجب أن تذهبي بسرعة؟

استعدت للوقوف:

ـ أجل.. يجب داندليون.. سأعود ثانية.

نهض بدوره: «نعم، عودي كيرا. سأرافقك حتى البوابة».

كانت مسرورة برفقته وفي الوقت ذاته نادمة لأنها اعترفت له ولكن لا تفهم لماذا يزعجها هذا، وكأنها تخشى أن يصل ما باحت به إلى اندريا.. وهذا أمر مناف للمنطق لأن الرجلين متعاديان.. على أي حال، إنها متأكدة أنها تستطيع الثقة بداندليون الذي سيحترم أسرارها.

فترت خطواتها قبل وقت طويل من وصولها إلى بوابة الڤيلا.. لكن، عليها الدخول. كانت متوجهة إلى غرفة النوم عندما خرج اندريا من مكتبته التي لم يسبق أن دخلت إليها.

نظر إلى وجهها، فأشاحت برأسها خشية أن يرى الذنب مسطور عليه.

سألها بعذوبة: «أين كنت؟»

ـ خرجت أتمشى.. شعرت بأنك وخطيبتك ترغبان في الانفراد.

توقعت أن ينكر خطوبته لها، لكنه خيّب أملها:

ـ إلى أين ابتعدت في مشوارك؟

ـ إلى آخر الطريق الزراعية.

ـ وبعد ذلك؟

نظرت إليه: «وهل يهمك؟»

ـ أريد أن أعرف إلى أين وصلت؟

حاولت تفهمه، ولكنها ارتابت من لهجته. هي بطبيعتها صادقة، وتكره الكذب، ولكنها شعرت بحاجة كبرى إلى الكذب في تلك اللحظة.

ـ لقد.. قطعت الحقل، ثم.. ثم تجولت بعض الوقت على غير هوادة.

ـ أهذه هي الحقيقة؟

توترت أعصابها.. أحست أنها علّقت نفسها في شبكة تشتد من حولها بالتدريج.

ـ أجل.. هي الحقيقة.

نظر إليها نظرة غريبة، مخيفة: «تعالي معي».

ـ إلى.. أين؟

فكرت بسيلفيا، وتساءلت أين هي.

ـ إلى مكتبتي.

ذهبت معه، فأقفل الباب، ولكنها انتفضت عندما تكتك الرتاج.

ـ إلى هناك.. قرب النافذة.

نظرت إلى وجهه المتجهم.. لماذا يتصرف بمثل هذه الغرابة.. وبشكل مخيف؟

ـ لماذا النافذة؟

لكنها وجدت نفسها تتحرك نحوها، فتبعها. قال وفي صوته تغيير ملحوظ:

ـ انظري إلى الخارج.. راقبي المنظر.

ابيض وجهها: بإمكانك.. رؤية شرفة داندليون..

ـ التي عليها تناولت الشاي معه.

التفتت لتواجهه، مستعدة لسماع تعليقات لاذعة.

شاهدت على وجهه أمام ذهولها تعبير خيبة الأمل الكئيبة.. ولكن سرعان ما تلاشى هذا التعبير. عرفت أنها لمحت شيئاً لم يكن ينوي أن يسمح لها برؤيته. خيبة أمل؟ وما السبب؟ ألأنها كذبت عليه؟ رفضت الفكرة فهي بعيدة الاحتمال.

تورد وجهها:

ـ هذا شيء كريه! لقد تعمدت أن تثبت لي كذبي.

ارتفع حاجباه الأسودان.

ـ ألست مرتبكة قليلاً؟ كذبت عليّ.

ـ لكنك طرحت أسئلة.. آه.. لن أدخل معك في أي جدال! كذبت، حسناً. وليس لك الحق أن تسألني عن تحركاتي.

لم تفارق عيناه وجهها:

ـ ولا تخجلين من الكذب؟

شعرت مرة أخرى بخيبة أمله. ماذا يعني هذا؟ ما دام مصمماً على الإيمان بأنها مجرمة، فلماذا ينزعج من الكذب؟ إنه أمر غير مفهوم.

ـ كذبت تجنباً للمشاكل بيننا.

ـ تخافين مني إذن.. هه؟

ارتفع ذقنها: «لست خائفة..»

صمتت لأنها تكره أن تكذب مجدداً..

قال يحثها:

ـ نعم.. كيرا؟

ابتلعت ريقها بصعوبة.. فأخذ ينظر إلى شحوبها وإلى حركات يدها المتشنجة..

قالت مدافعة:

ـ من غير المستساغ أن يجري بيننا هذا الشجار كله.. أملت تجنب مزاجك الباعث على الأسى، مرة أخرى.

ـ مزاجي؟ وماذا عن مزاجك؟

ـ أنت تثيرني.

كان صوتها مخنوقاً أكثر مما تتمنى أن يكون.. تجاهل اندريا

كلامها:

ـ ما دمت كذبت تجنباً للمشاكل، فهذا بلا شك اعتراف بأنك خائفة مني؟

لم ترد.. بعد لحظات من الصمت أردف:

ـ وستشعرين بخوف مضاعف إن لم تبتعدي عن هذا الرجل، وست.. أجل.. يمكنك الانفجار غضباً، لكنك تعرّفين حتى الآن أنني أكثر من ند لك.. لدي سبب لمنعك من الاختلاط به.. أرجو ألا تنسي هذا.

ـ أي سبب؟

لان صوته قليلاً فجأة:

ـ لا داعي أن تعرفي. افعلي ما أقوله فقط. ليس صعباً عليك الابتعاد عنه.. عمَ كنتما تتحدثان؟

عبست.. ولماذا يهتم؟ ولماذا يعارض مصادقتها لداندليون، الغريب الأطوار المسالم الوحيد؟ نعم هو لا يكلم جاره ولكن اندريا يبدي قليلاً من الاهتمام بزوجته، وهذا التصرف يزيدها حيرة إلى حيرة.

ـ تحادثنا في ذا وذاك.

أملت أن تخدعه ليظن أنها غير خائفة منه.

ـ وما هو ذا وذاك؟

أوشكت كيرا أن تفقد صبرها.. نعم هي خائفة منه ولكن لا يمكنه أن يكون الرابح الوحيد دائماً.

ـ لا أظن أن الأحاديث التي تبادلناها تهمك بشيء.. لست مضطرة إلى تقديم تقرير عن كل تحركاتي وتصرفاتي.

ـ لن يكون ذلك حتى لو كنا متزوجين بشكل ملائم.

ـ متزوجين بشكل ملائم؟

كان المرح في صوته، فتنهدت.

ـ ألسنا متزوجين حقاً؟

كانت تراقب وجهه، حائرة من تعبير وجهه. سألت: «ماذا حصل لسيلڤيا؟»

ضحك زوجها فدهشت:

ـ لا يصعب قراءة مسيرة أفكارك. لا علاقة لسيلڤيا بزواجنا كيرا.. تعرفين أننا كنا مخطوبين ثم تخاصمنا، فانتهى كل شيء.

ـ انتهى؟ أنت لا تنوي الزواج بها إذن؟

ـ هذا السؤال أسخف من أن أرد عليه.. سبق أن قلت لك إنني لا أحب الطلاق.. لقد تجاوزنا هذا الموضوع منذ زمن طويل.

تركت هذا يمر.. إذ عمت قلبها السعادة.. أيقول لها بطريقته الفظة، إنهما سيبقيان متزوجين على الدوام؟ وعت بأن عقلها الباطني يحاول أن يذكرها بأن الحياة معه لن تكون سعيدة.. فأمامهما فترات من الغضب من جهته، والخوف من جهتها.. أضف إلى هذا دأبه على إظهار سيادته.. ألم يذكرها مراراً بأن الزوج هو السيد في اليونان؟ سيستخدم سلطته عليها، ولن تتحرر من ديكتاتوريته.

ولكنها صدت عقلها الباطني، وتجاهلت إنذاراته.. ووجدت كيرا أن الأمل أرضاها، لكنها تمنعت عن إظهار دليل على هذا الأمل، لأن اندريا لم يصدقها حتى الآن ولم يبدأ بالاهتمام بها، ولو قليلاً.. ليته يهتم فقط.. عندئذ تزول هذه المواجهات وترى الرجل الآخر.. الرجل الحساس اللطيف الذي أنقذ الوردة التي رماها في الماء ثم جففها بحنان بمنديله.

* * *

٩ ـ لا يصدقها

إن أكثر ما حيَّرها هو سيلڤيا وما حل بها. لقد وصلت الفتاة تحمل حقيبة ملابس على أمل تسوية خلافها مع اندريا.. ويا لها من صدمة تلقتها عندما قدمها إليها على أنها زوجته!

كبر فضولها وتعاظم فكان أن سألت في النهاية زوجها عما حصل لخطيبته السابقة.. جعله هذا السؤال يشعر ببعض التسلية.

ـ سبق أن سألتني عن الأمر.

قامت بحركة تدل على نفاد صبرها.. كانت هي واندريا في الحديقة.. خرجت بمفردها تتمشى مسرورة بالزهور، عندما فوجئت بزوجها ينضم إليها.

ـ ولكنك تمنعت عن الرد.

ـ لم يعد باستطاعتك السيطرة على فضولك.. هه؟

مد يده يقطف وردة، وردة قرمزية اللون توشك أن تتفتح.. نظر إليها، ولكن كيرا شعرت بأنه في هذه اللحظات لا يعي وجودها.. رفع الوردة إلى أنفه، أبعدها وقربها. وراقبته مسحورة.. أي نوع من الرجال هو؟ إنه رجل غامض بكل تأكيد، فيه صفات تحيّرها.

قال أخيراً: لقد عادت سيلڤيا إلى بلادها.. هل اكتفيت؟

ردت تدافع عن نفسها: «من الطبيعي أن يثور فضولي».

نظرت باستغراب إليه، تتساءل عما إن كان يشعر بأية مشاعر

تجاه الفتاة التي كانت خطيبته.. كان وجهه قناعاً غير مقروء.. يبدو كأن اهتمامه كله ينصب على الإبداع الرائع الجمال الذي يمسكه في يده.. شيء غريب، مثير، تحرك داخل كيرا.

لقد وجدت في زوجها ميزات محببة جعلتها تتمنى رفع وجهها إليه لتقبله. حملت أفكارها اللون الوردي إلى خديها، وقبل أن تتمكن من إشاحة وجهها لئلا يلاحظ اندريا توردها، حلت مكان القناع الذي لا تعبير فيه على وجهه، ابتسامة تساؤل...

سألها: «لمَ التورد؟»

تجنبت عيناه، وراحت تنظر إلى الحديقة:

ـ انظري إلي!

تجنبت عينيه خشية أن يقرأ ما تحاول إخفاءه عنه في الوقت الحاضر، رفعت يده لتضعها على خدها. كأنها تود مسح التورد الذي يُحدثه تحديقه المتمعن إليها.

ـ لم أعرف أنني متوردة.

عادت إليه الابتسامة الحائرة، إنه جذاب في هذا المزاج الغريب! قال بلطف غير متوقع:

ـ كذبة أخرى ولكنها بيضاء هذه المرة.

أحست كيرا أنه يترنح بتأثير ما هو أبعد من قدرته على السيطرة..

ـ سأذهب غداً إلى كوس لمقابلة زميل عمل.. قد ترغبين في مرافقتي؟ ستتناول الغداء على متن اليخت.. أم تراه يذكرك بذكريات مؤلمة؟

كان قلبها يقوم بأشياء غريبة، لم تستطع لبرهة الكلام.. أخيراً تمتمت، وعيناها تومضان:

ـ أحب كثيراً أن أرافقك.

تسارعت نبضات قلبها حتى خشيت أن تصاب بنوبة ارتجاف داخلية.. هل ستتغير تصرفاته معها؟ هل سيبدل رأيه فيرفض أن يأخذها معه؟ هبطت معنوياتها فجأة وشعرت بأن عرضه تهور منه وأنه ندم عليه.. قد لا يحب أن يتعرف زميله إلى مجرمة. لا شك أنه يفكر في هذا الآن.. أصبح الصمت بينهما كئيباً، مؤلماً، وكم أرادت أن يعيد الابتسامة التي منحتها منذ لحظات السعادة.

ـ أنت.. تريد مني أن أذهب معك؟

في صوتها رجاء، كانت تتوسله بطريقة لا واعية ألا يغير رأيه.

التفت إليها ويده تداعب أوراق الوردة المخملية. إنها تعتمد على هذه الفرصة فالذهاب إلى كوس الخطوة الأولى نحو الصداقة، وبعد الصداقة يأتي التعلق، ومن ثم.. الحب؟ إنها لا تجرؤ على التفكير في أنه قد يتعلم أن يحبها.. مع ذلك كانت يائسة من أجل بعض التغيير في علاقتهما.

تكلم زوجها أخيراً فعرفت أن شيئاً أبعد من قدرته على السيطرة، أطاح به، لأنه سمح لصوته أن يحمل شيئاً من اللطف والطمأنينة:

ـ بالتأكيد كيرا.. وإلا لما طلبت منك.

تمتمت: «شكراً لك».

الآن بعدما غمرتها الراحة، أحست بالعرق يبلل راحتي يديها إذ لم تكن تعي بأن التوتر في أعماقها قوي إلى هذه الدرجة.

عادت الابتسامة لحظة قبل أن تتوارى مجدداً، لكن كيرا شاهدتها، فرضيت لأنه لن يندم على عرضه.

ـ بإمكانك عندما أتحدث إلى الرجل التجول في البلدة والتسوق أو القيام بما ترغبينه، ثم أقترح أن تأتي إلى الميناء في الثانية عشرة، وسأساعدك في الصعود إلى اليخت.. بعد الغداء، لدي أغراض صغيرة أريد أن أشتريها، هكذا سنكون في الميناء معظم النهار.

تجولت في عاصمة الجزيرة بعدما تركها اندريا، أوقف سيارته في الميناء، متجهاً لمقابلة زائره القادم بالمركب من «بيراكوس».. جذبتها الحديقة العامة الجميلة، وأخذت تستمتع بمنظر الأزهار الاستوائية الرائع فترة قبل أن تتمشى على الجادة العريضة التي تحف بها على الجانبين أشجار مزهرة.. كانت الڤيلات الجميلة والمنازل الصغيرة الحجم محاطة بحدائقها الخاصة فأضاف هذا جمالاً إلى المنظر.. بعد ابتعاد كيرا عن منطقة المنازل، وجدت أشجار الموز، والرمان، والليمون، تنمو قرب بعضها بعضاً. كانت النساء تمر بها، وهن حاملات لفائف كبيرة على رؤوسهن ولكنهن كن يسرن بسهولة ورشاقة جعلت كيرا تشهق.. كيف تستطيع النساء السير هكذا بدون أن يقع حملهن؟ تبادلت مع بعضهن الابتسام. ورددت كيرا «صباح خير» مشرقة وتلقت «كاليميرا» مشرقة كذلك.

تابعت كيرا تجولها مستمتعة بأشعة الشمس، وبالأزهار، وقبل أي شيء آخر، بالترقب للقاء اندريا ظهراً.

أخيراً حان وقت توجهها إلى الميناء، وفي تمام الثانية عشرة قابلها اندريا على سطح يخته حيث عرّفها إلى رجل يوناني صغير، رمادي الشعر، هبَّ من مقعده المريح حالما رآها. قالت رداً على تحية الرجل: «كيف حالك؟».

نظر إليها غوركي بانوس، بإعجاب وقال:

ـ زوجتك فاتنة اندريا. سعيد أنا بمقابلتها.

تكلم الزوجان معاً: «شكراً لك».

نظرت إليه لترى مدى تأثير ملاحظة غوركي، ولكنه أبقى مشاعره لنفسه تحت قناع مسدود. عرفت كيرا أن مظهرها رائع.. وتساءلت إن قرر اندريا أنها لا تبدو مجرمة.. لكن كيف يبدو المجرمون؟

يبدو المجرمون عادة مهذبين أنيقين..

ـ أتودين شراباً كيرا؟

إنه صوت اندريا، الذي كان يبتسم كذلك. عرفت أنه يتذكر أشياء لذا من الطبيعي أن تتورد وجنتاها..

كان غوركي رجلاً متواضعاً، هادئاً، الكلام معه يثير الاهتمام. اعتذر اندريا، وذهب يكلم أحد البحارة في المطبخ ليحضر الغداء، ووجدت كيرا نفسها وحيدة مع غوركي بضع دقائق. سألها إن كانت تحب المقام على الجزيرة، وسرعان ما انجرف الحديث إلى الجزيرة نفسها.

تدمرت بلدة كوس أكثر من مرة بفعل الزلازل، كما قال غوركي، وفي كل مرة يعاد بناؤها على أنقاض ما تبقى..

سكت غوركي، لدى اقتراب اندريا ثم قال:

ـ كنا نتبادل نقاشاً ممتعاً جداً.

ـ صحيح؟ عمّ؟

ـ عن الجزيرة.. توشك كيرا أن تصبح مواطنة مخلصة.

ـ صحيح عزيزتي؟

هزت رأسها، إنه سؤال خال من المعنى.

أردف: «الغذاء جاهز».

ودخل الجميع إلى الصالون الذي طردها اندريا منه في مناسبة أخرى.

نظرت إليه آلياً، ثم أشاحت وجهها. كان عابساً قليلاً.. وكان غوركي يقول شيئاً مسلياً، ضحكت له كيرا فاستكان الجو قليلاً. وأحست بأن اندريا يشعر بشيء من الإحراج بسبب المعاملة التي عاملها إياها.

ما إن انتهت وجبة الطعام حتى رافق اندريا وكيرا غوركي إلى سلم النزول ليودعاه.. ثم نزلا هما أيضاً ليتجولا في المحلات.. ثم

استقلا السيارة عائدين إلى الڤيلا، بعد أن عرجا في طريقهما على منزل أم اندريا.

ما إن وصلا إلى منزلهما حتى وجدت كيرا رسالة تنتظرها.. كانت من مربيتها التي تسأل إن كان من الملائم أن تزورها وزوجها. عندما أخبرت اندريا بمحتويات الرسالة، تلقت نظرة فشلت في تفسيرها.. كان في صوته لهجة غريبة:

ـ لا بأس في أي وقت إلا يومي الثلاثاء والأربعاء من الأسبوع القادم لأنني سأكون في أثينا.

تذكرت نصحه لها بألا تترك مربيتها تقيم طويلاً معهما، إذ يكفيه يومان لتمثيل دور الزوج الولهان المحب.

ـ سأطلب منها أن تأتي بعد أسبوعين؟

هز رأسه: وهل قلت إنها آتية مع زوجها؟

ـ هذا صحيح، وهو يوناني، سبق أن ذكرته لك. تذكر؟

ـ ما اسمه؟

ـ باولوس.

ـ وكيف تزوجت بيوناني؟

ـ التقته في لندن في منزل صديقة.

في ردها لهفة سعادة لأنه يبدي اهتماماً.

ـ كانت أرملة منذ سنوات طوال لذا سررنا كثيراً بفكرة زواجها أخيراً. إنها في غاية السعادة مع باولوس.

ـ أتحب العيش في أثينا؟

ـ ومن لا يحب العيش في أثينا؟

حملت صيحة الإعجاب غير الإرادية بسمة إلى شفتي زوجها الذي قال:

ـ أظن أن من الأفضل أن تروي لي تلك القصة مجدداً..

اتّقد البريق في عينيها وسارعت تسأله:

ـ مرة أخرى؟ وهل أنت مستعد للإصغاء؟

ـ بالتأكيد ولولا ذلك ما سألتك أن تكرري القصة؟

وجدت كيرا نفسها ترتجف..

ـ وهل ستصدقني؟

ـ هذا وقف على مدى قناعتي..

قالت غاضبة: «لكنني قلت لك الحقيقة اندريا».

ـ لا أذكر القصة كلها، ولا نصفها.. كنت في مزاج عكر بحيث لم أستطع الإصغاء كما يجب.

ـ وكان هذا مفهوماً بالنسبة لي. لديك أسباب مقنعة للغضب.

ارتفع حاجباه:

ـ غضب؟ هذا أقل ما قد نصف به الموضوع.. أنت محظوظة لبقائك على قيد الحياة.

ـ لا أظنك كنت تتركني أغرق في الوحل، عندما كنت فاقدة الوعي.

ـ لا؟ أنت لا تعرفينني جيداً عزيزتي.. في تلك اللحظة كنت قادراً على خنقك فكيف بتركك هناك لتغرقي.

جعلها التغيير الصاعق في قسمات وجهه تحبس أنفاسها.. ارتفعت ضربات قلبها، وهذا أمر سخيف حتى الآن.. لا شك أنه يفكر في المسدس الذي كانت تدسه في ظهره.

قالت بسرعة، ترتجف:

ـ هل أخبرك بالقصة الآن؟ لن تطول.

لكن القصة طالت أكثر مما تصورت، لأنها كانت بين فترة وأخرى تقف صامتة، تنظر إلى وجه زوجها، محاولة اختراق قناع وجهه المتجهم. ولكنه كان يحافظ على تباعده.. التوقف أضعف

القصة، وما إن انتهت من سردها حتى كان اكتئاب وإحباط يسيطران عليها.

ـ أنت لا تصدقني، أليس كذلك؟

بدا أنه يحاول التركيز بشدة.. ولأنها لم تستطع تحمل الصمت أكثر، قالت له إن بنجي ستدعم هذه القصة.

هز رأسه ببطء: «قد تكون مربيتك متآمرة معك».

ـ هذا صحيح.. لكن عندما تراها تعرف أنها ليست متآمرة معي.

ـ يبدو لي أن أفضل طريقة، هو التحفظ في أي حكم حتى أقابلها. وإن كانت القصة حقيقية فسيكون هناك ضوء جديد مختلف على المسألة كلها.

نظرت إليه، مسرورة وعيناها الخضراوان تبرقان من السعادة.

وجدت نفسها تقول بصوت مرتجف:

ـ أتعني أن.. زواجنا.. قد يكون دائماً؟

أصبح مرة أخرى حذراً. لكنه اهتم بتعابير وجهها وبالطريقة التي قالت فيها الكلمات. نظرت بكل صدق إلى عينيه السوداوين المتفرستين فشاهدته يبتلع ريقه بصعوبة، وشاهدت جانب فكه يتحرك.

قال يسألها: «أتحبين أن يكون دائماً؟»

ترددت خشية أن يعرف مشاعرها. ثم قالت وهي لا تزال تنظر إليه بصدق:

ـ أجل.. سأحب هذا.

وأخفضت رأسها وهي غير قادرة على إطالة النظر إليه أكثر. ولكنه أجبرها على رفع رأسها ثم تبع ذلك صمت ثقيل.

تمتم: «صحيح؟»

وتركها، ليبتعد إلى الطرف الآخر.

مرت لحظات صمت طويلة.. وأدركت أنه لا يريد المزيد من الكلام، فاعتذرت، وتركته واقفاً هناك، ينظر من النافذة إلى الحديقة الجميلة. كانت مضطرة في خروجها إلى المرور قربه، لكنه لم يتحرك أو يدير رأسه..

في وقت طويل فيما بعد، وبعد خروجها من الحمام، رأته يقف في وضع مماثل لكن هذه المرة على نافذة غرفة نومها.. وبدلاً من الملابس الرسمية التي كان يرتديها للقاء العمل، كان يرتدي روباً كحلياً قاتماً.

هذه المرة استدار، وابتسامة تلين فمه القاسي.. عيناه كذلك كانتا ليتين.. ورأت كيرا الرجل الذي حمل الوردة بين أسنانه.. الرجل الذي يذكرها بطفل.. لكن، لم يكن هناك شيء طفولي في قوته حين أخذها بعد لحظات بين ذراعيه.. مع ذلك، كان فيه حنان غير مألوف.. حنان لم تعرفه من قبل. تجاوبت مع عناقه بكل سعادة، تنهدت بسعادة واكتفاء، ودفنت وجهها في صدره.

* * *

١٠ ـ مغامرة الحب

ظلّ اندريا على حذره منها ولكنه أصبح الآن منفتح الذهن بالنسبة لشخصيتها.. لكن إلى أي مدى، هذا ما وجدت صعوبة في تحديده. كانت أحياناً تلتقط نظرات اعتبرتها إشارات إلى الحب الحقيقي، بيد أنها لم تسمح لآمالها بالتفاؤل كثيراً. أحياناً كان يتغير فجأة فيهملها فتتساءل عما فعلته ليقل اهتمامه بها.. وفي تلك اللحظات تقول لنفسها بإحباط إنه ما زال يعتبرها رفيقة وسادة لا غير..

خرجت عن طورها يوماً غاضبة.. فقد تلاقت مع داندليون في الطريق الزراعية، وقبلت بتحد دعوته لتناول الشاي. تناولاه كالعادة على الشرفة، وكما حدث سابقاً شاهدهما اندريا.. لدى عودتها، واجهت لهيب غضبه، وتهديداته فتركها هذا الشجار مرتجفة، ما طبيعة الحياة التي ستعيشها إن قررا البقاء معاً؟ سرعان ما تصبح الحياة رهيبة..

كان تصرفه نحو داندليون سخيفاً. فكيف يعترض على رجل مسالم كهذا؟ صحيح أن الرجل غريب الأطوار ولقد أغضب جاره لكن داندليون هدم برجه طائعاً، فلماذا لا يعامله اندريا كما يجب أن يُعامل.. كجار مسالم، ولو كان غريب الأطوار؟

أشارت إليه بهذا، لكنها لم تتلق غير قول متعجرف:

- ابتعدي عنه! وإن استمريت في تحدي إرادتي فستشعرين بالأسى على نفسك.. لقد حذرتك مراراً كيرا، وإن كان لديك ذرة عقل فهمت هذا الإنذار.

وكان هذا كالشعرة التي قصمت ظهر البعير.. ولو كان داندليون ساعتئذ في منزله لذهبت تزوره في الحال. لكنها شاهدت سيارته في الميناء، وظلت هناك ليومين فعرفت أنه مسافر فتساءلت إن كان عنده أصدقاء في أثينا.

يوم الثلاثاء، قبل توقع وصول مربيتها في نهاية الأسبوع، أعلن اندريا أنه ذاهب إلى العاصمة حيث سيغيب حتى الخميس.. كادت تسأله إن كان بإمكانها مرافقته ولكنها امتنعت عن ذلك معترفة لنفسها أن علاقتهما رغم تحسنها لم تصل إلى مرحلة أن يزعج زوجها نفسه بالاهتمام بشعورها بالوحدة.

بعدما غادر المنزل شاهدت سيارة داندليون تدخل إلى طريق منزله الداخلية، ترجل منها فرأته واقفاً لينظر حوله متجسساً تقريباً.. فابتسمت. أيظن أن أحداً يراقبه؟

دخل إلى المنزل من الشرفة المسقوفة، واستدارت كيرا عن النافذة.. جاءها بعد نصف ساعة وهي جالسة في المرجة مع كتاب.. وقف إلى الجانب الآخر من السياج وناداها.

- مرحباً.. ما رأيك بالمجيء إلى عندي لتناول القهوة؟

سألت باستغراب: «أعرفت أن زوجي غائب؟»

هز رأسه: «رأيته في الميناء».

- أوه.. هكذا إذن.

- سأكون ممتناً لصحبتك.

- حسناً.

توجهت إلى البوابة تاركة الكتاب على الكرسي:

- أكنت مسافراً؟

- ذهبت إلى انكلترا.. مات أحد أقربائي، وكان عليّ أن أشارك بجنازته. لهذا ترينني كئيباً، ألم تلاحظي هذا؟ أكره الجنازات، كما أكره حفلات الزواج. فكلاهما يحبط النفس إلى أقصى حد.. أما زلت تحبين ذلك المتعجرف؟

- اندريا..؟ بالتأكيد.

لماذا لا تستطيع أن تغضب من داندليون؟ لو قال أحد آخر كلمة شائنة واحدة عن زوجها لردت عليه بحدة.. لكن داندليون لطيف جداً.. إنه مجرد طفل كبير، قد يكون شريراً، ولكنه غير مؤذ.

تقدم إلى البوابة يفتحها لها. سارا معاً ودخلا إلى طريق منزله الداخلية. عندما أصبحا في الحديقة قال لها:

- اجلسي على الشرفة، سأحضر القهوة.

جلست تحت ظلال الدوالي التي يحيط داندليون حديقته بها..

- هاك!

وضع داندليون الصينية على الطاولة وجلس.. ابتسمت عيناه الزرقاوان وهو يصب القهوة.

- كم يطول غياب زوجك؟

- حتى الخميس.

صمتت مصغية: «الهاتف».

لكن داندليون وقف قبلها، ودخل إلى المنزل فوقفت بدورها تتمشى بين الأشجار الحمقاء.. ممر من الحصى مطلي بألوان مختلفة يقود إلى مكان ما لم تره من قبل.. فسارت إليه، كان يتلوى وفي نقطة منه اقترب من نوافذ الڤيلا.. مع أن النوافذ كانت مقفلة إلا أنها سمعت صوت داندليون، فشهقت مستغربة.

كان يصيح على من يتكلم معه!

اللطيف، المسالم، داندليون.. يصيح بغضب.. توقف صوته فتسللت كيرا عائدة إلى كرسيها على الشرفة. ترفع نظرها بفضول ترقب داندليون وهو يخرج من المنزل بعد لحظات. كان خداه متوردين وعيناه الزرقاوان تلمعان بشكل غريب.. ولكن ما إن رأى اهتمامها بما يبدو عليه حتى ابتسم، وجلس ليسأل بلهفة إن بردت قهوتها.

ـ كان عليك ارتشافها.. ما كنت بحاجة لانتظاري.

التقط الإبريق، فقالت له:

ـ لم تبرد.. تبدو قلقاً.. هل من خطب؟

هز رأسه مبتسماً بلطف:

ـ لا عزيزتي.. لا شيء أبداً.. كان البقال على الهاتف يذكرني أنني مدين له بخمسمئة درخما ولكنني أكدت له أنني أرسلتها بالبريد.. مزيد من القهوة كيرا؟

ـ أجل.. أرجوك.

البقال.. لقد كان يصيح غاضباً بصوت مرتفع. صحيح أنها لم تصغ إلى كلماته ولكن لديها انطباع بأنه كان شخصاً يتلقى تأنيباً جيداً.

مال داندليون يصب لها القهوة. لكن يده كانت على الطاولة، فرأتها كيرا عن قرب، كانت قبضته مشدودة بشدة، حتى ابيضت مفاصل أصابعه تحت بشرته السمراء.. تشتد قبضة اندريا أحياناً هكذا، عندما يكبح غضباً داخلياً.

ـ إذن، زوجك غائب حتى يوم الخميس؟ ستشعرين بالوحدة. تعالي لتناول العشاء معي الليلة. أجيد الطهي قليلاً عندما يكون عندي ضيف. أتحبين الموسيقى؟

ـ طبعاً.

ـ إذن، بعد العشاء سنصغي إلى التسجيلات.. فهل تأتين؟

ترددت، غير قادرة على إيجاد سبب لترددها.

ـ سأفكر في الأمر داندليون، وأتصل بك بعد الظهر.

ـ ألا تستطيعين اتخاذ قرارك الآن؟

بدا متكدراً فمضى يذكرها بأنها وعدت مرة أن تحضر حفلة رقص في مخزنه.

ـ وما المجيء إلى العشاء بأمر مختلف

فابتسمت تعد بالمجيء للعشاء.

لكنها لم تشعر بالراحة وهي ترتدي ثيابها. فذلك الصوت الغاضب لا يبارح ذاكرتها، أحست بأن في الأمر خطب الرجل شفاف إلى أقصى حد.. «لكنني واثقة أنه كذب بشأن تلك المكالمة.. فأنا واثقة أنه لم يكن يتكلم مع البقال».

على أي حال، حافظت كيرا على وعدها، استمتعت بالوجبة مع داندليون الذي تحدث عن مشروع جديد: مستنبت زجاجي للبرتقال مع كميات هائلة من الحديد المزخرف.. هذه آخر فكرة لديه.. وبما أنها تعتقد أنه لا يملك الوفير من المال، سألته إن كان بإمكانه تحمل نفقات مشروعه.. فأجاب:

ـ يعمل هؤلاء اليونانيون مقابل مبالغ قليلة من المال أجل، سأتمكن من تحمله..

ضحكت، وسألته أين سيقيمه.

ـ سأقيمه في الجانب الآخر من الحديقة بحيث لن تشاهداه من منزلكما.

شعرت كيرا فيما كان يتحدث بأن أفكاره في مكان آخر.

بعد العشاء أصغيا إلى تسجيلاته الموسيقية ثم قالت كيرا إن عليها الرحيل.

ـ سأسير معك.. فالظلام شديد لذا لا أقبل أن تمشي بمفردك إلى منزلك.

لم تعترض كيرا، فسارا إلى باب الڤيلا حيث التفتت تقول له:

ـ أشكرك على الوجبة الممتازة. أنت طاه بارع.

بدا مسروراً كالأطفال، قبل يدها بلطف فذهلت.

ـ أنت امرأة شابة لطيفة كيرا.. شكراً لك على صحبتك هذا المساء. ربما أراك في الغد.. هل تتمشين؟

ـ أجل.. في وقت ما خلال النهار.. سأناديك إذا رأيتك في مكان ما.

ـ شكراً.

نظر إلى النوافذ المظلمة:

ـ هل أنت بمفردك؟

ـ ماريا راجعة بعد قليل، لقد ذهبت لرؤية أمها.

ـ لديكم خادم رجل كذلك؟

ـ هذا صحيح لكنه لا يقيم هنا.

ـ هكذا إذن.

بدا متردداً أن يتركها.. خفق قلبها له فجأة. إنه وحيد ولهذا يطيل البقاء معها.. ثم قال متردداً:

ـ الوقت مبكر.. إن كنت لا تتوقعين عودة ماريا باكراً، فادعني لشرب شيء..

صمت يهز رأسه، ثم تراجع:

ـ لا.. أنا آسف كيرا.. ما كان عليّ أن أطلب هذا منك.

ـ لا ضير من أن تتناول شيئاً عندي داندليون.

وضعت المفتاح في قفل الباب:

ـ أدخل.. لن تعود ماريا قبل ساعة.

قال بعدما شكرها، وهو يلحق بها إلى الداخل:

ـ من المؤسف أن يكرهني زوجك.. أظنني عندما يعود سآتي إلى هنا لأرى إن كان بالإمكان إصلاح الأمور بيننا.

ـ أتمنى هذا داندليون.. عندئذ ستتمكن من زيارتنا، ولن تكون وحيداً.

هز رأسه وجلس إلى مقعد أشارت إليه.

ـ أنت على حق. أجل.. أنا قادم مساء الخميس.. إذا وصل باكراً سأعتذر.

وضعت مفتاحها في حقيبة يدها التي وضعتها على كرسي، وسألته إن كان يرغب في احتساء شيء.

ـ عصير البرتقال يا عزيزتي، مع الثلج، أرجوك.

عندما عادت من المطبخ دهشت لأنها وجدته واقفاً قرب الطاولة، لكنه قال لها:

ـ كنت أتأمل ما حولي، زوجك جامع تحف.

ـ أجل إنه يجمع القطع الأثرية.

ابتسم لها وهي تصب العصير من الإبريق في كوب زجاجي.

ـ وهي غير زائفة.. إن مجموعة «تشيلسي» الرائعة هذه من البورسلان..

ـ وهل التقطتها؟

أحست بالراحة لأنه يقول الحقيقة. ترى ماذا فعل خلال غيابها في المطبخ؟ لا شيء.. مع ذلك أحست بالقلق من شيء ما.

ـ أجل.. التقطتها، فهل تعذرينني؟

ـ لا أدري.. لو انكسرت؟

ـ لعانيت المتاعب مع زوجك! يا عزيزتي، أنا معتاد على التعامل مع أمثال هذه الكنوز. لقد كان لي قريب من الأرستقراطيين، وكنت

أزور منزله دائماً.

ـ آسفة، كان عليّ أن أعرف أنك تعرف كيف تتعامل مع هذه التحف.

غادر بعد نصف ساعة وفيما كانت تغلق الباب خلفه، وجدت أنها تتنفس الصعداء.. يا لذلك الرجل المسكين الوحيد.. ولكن لماذا تشعر بالراحة لرحيله؟

بعد أسبوع على هذا خرج اندريا من مكتبه، حيث كان يتحدث هاتفياً. ما إن رأت تعابير وجهه حتى كتمت أنفاسها.

قالت مذعورة: «انهارت أمك؟».

ـ لا.. حمداً لله.. الأمر مختلف. سرق أحد مكاتبنا في المؤسسة.

ـ المؤسسة؟

ـ تملك شركتي سلسلة من الفنادق، هذا عدا أشياء أخرى.. ونحن ندفع مرة في السنة مكافأة كبرى لموظفينا. يحضّر المبلغ في أحد المكاتب الرئيسية ويوزع على مديري الفنادق، لدفعه إلى الموظفين.. فيبقى ذاك المبلغ ليوم واحد في ذلك المكتب.. ومن اقتحمه ليلة أمس يعرف بهذا الأمر.

كان وجهه منهكاً مسوداً.. فحارت من تأثره فشركة التأمين ستعوض عليه الخسارة.. ذكرت هذا له، فهز رأسه موافقاً.

ـ إذن لماذا أنت قلق هكذا؟ أعرف أن الأمر مقلق، إنما مؤسستك لم تخسر فعلياً.

نظر إليها وعرق ينبض في عنقه بجنون. وقال ببطء:

ـ عدا الرجل المسؤول عن ذلك المكتب، أنا الشخص الوحيد الذي يملك مفتاحاً آخر.. ومن دخل ليلة أمس، استخدم مفتاحاً.

ذهلت كيرا..

ـ هذا مستحيل، لا شك أنه كسر القفل.

ـ بل استخدم المفتاح.

نظرت إليه مرتبكة:

ـ لن يشكوا بك.. سأشهد على وجودك معي طوال ليلة أمس.

ـ يا فتاتي العزيزة.. أنت زوجتي.

ـ ألن يصدقوني؟

ـ لا.. لن يصدقوك.

مدت يديها، مذهولة:

ـ وبم تستفيد إن سرقت نفسك؟

ـ عندئذ أكون قد سرقت مؤسستي لتدفع شركة التأمين المبلغ.

صاحت ساخطة:

ـ لا يمكنهم الشك بك! هذا مستحيل! لا أشك أن من اقتحم المكان حصل على مفتاح من مكان ما.. هذا واضح!

ـ واضح لي.. ولك عزيزتي.. ولكن أهو واضح للشرطة؟

خفق قلبها بشكل مزعج:

ـ لن يأخذوك.. لن يجرؤوا.. ليس أنت!

ـ ستشك الشرطة بكل تأكيد بي.. أما موضوع اعتقالي فأمر آخر نفكر فيه لاحقاً. ثمة رجل آخر يملك المفتاح لذا هناك في الوقت الحالي مشبوهان فقط.

ـ لا ريب أنه الرجل الآخر.. لا ريب في ذلك!

ـ يخدم هذا الرجل المؤسسة منذ ثلاثين سنة. وسجله أبيض لا شائبة فيه.. أما أنا ففي هذه المؤسسة منذ سنة فقط. لقد اشترتها شركتي، ولكن ظلّ جميع الموظفين فيها.. لا كيرا.. إنه ليس الرجل الآخر.. أقسم على هذا.

ـ إذن، حصل السارق على مفتاح منه في وقت ما.. وصنع

نسخة عنه.

لم يقل اندريا شيئاً. بل غرق في تفكير عميق. إن وجهه رمادي مرهق. اغرورقت عينا كيرا بالدموع، كانت خائفة كما لم تخف قط في حياتها. فهي تشعر بأن اندريا.. يؤخذ منها..

قالت بإلحاح: «ماذا يمكننا أن نفعل؟»

هز رأسه: «نحن غير قادرين إلا على انتظار زيارة الشرطة».

تلاشى ما قد تبقى من لون على وجنتيها.

- الشرطة آتية إلى هنا؟

- إنهم متجهون إلينا بطائرة خاصة.. سيصلون بعد ساعة تقريباً.

لم تستطع كيرا التحمل فهبت عن كرسيها وقالت:

- هلا خرجنا لنتمشى؟ لا أستطيع التحمل اندريا.. لا.. يمكنهم.. إلصاق تهمة كهذه.. بك.

تقدم إليها والتف ذراعه حول كتفيها.. ثم تمتم كأنما لنفسه:

- دموع.. دموع من أجلي مع أنك لم تذرفي دمعة واحدة من أجل نفسك يوماً.. حتى وأنت تعانين من ألم مبرح.

التفتت إلى صدره والتفت الذراع الأخرى حولها. همست وهي غير قادرة على منع نفسها:

- أحبك اندريا.. لا أستطيع منع نفسي عن حبك.

انطلقت ضحكة خافتة من بين شفتيه.

- لا داعي للاعتذار على هذا عزيزتي.

نظر إليها قبل أن يشدها إليه بلطف ليعانقها بشغف. لا تشك أنها محبوبة.. أرادت أن تتكلم، أن تسأله إن كان يصدق قصتها. لكن الوقت غير ملائم لتسمع منه كلمات الحب التي تاقت إلى سماعها منذ زمن بعيد..

كررت: «هل نتمشى؟ سأشعر بأنني أفضل حالاً إن فعلت شيئاً».

- حسناً. هل مفتاحك قريب منك؟ مفتاحي في غرفة النوم.

- أجل.. إنه هنا، في حقيبة يدي.

فتحت بأصابع مرتجفة قفل الحقيبة.. أعصابها محطمة.

- لا أجده.

عبست محاولة التركيز.. متى استخدمت المفتاح آخر مرة؟

في الأسبوع الماضي خرجت مع اندريا ولم تستخدم مفتاحها..

كررت: «غير موجود هنا».

- إذن هو في مكان آخر.. لا بأس سأحضر مفتاحي..

بعد ذهابه راحت تفكر في زوجها الذي تخشى أن يتهموه بهذه الجريمة.

أقفلت حقيبتها ووضعتها على الأريكة في الوقت الذي كان فيه اندريا يدخل الغرفة..

سألها: «جاهزة؟ كيرا.. لا حاجة بك إلى القلق في هذه المرحلة.. انسي الأمر أتسمعينني؟»

هزت رأسها فأمسك يدها وهما يغادران المنزل.. ولكنهما ما كادا يصلان إلى آخر الطريق حتى وصلت سيارة الشرطة.. فخفق قلبها بشدة وأحست للحظات بأن مشاعرها تخدرت.

- عودي عزيزتي، وابقي في غرفتك.. أو تجولي في الحديقة.. إنما لا تقلقي عليّ.

تنحت جانباً لتدخل السيارة، ثم صعد اندريا إلى المقعد الخلفي بعد تبادل بضع كلمات باليونانية مع السائق.. فهل سيكون في السيارة عندما تغادر؟

تجولت في الحديقة على غير هدى.. ثم توجهت إلى غرفة نومها.. غاصت بوهن في السرير واغرورقت عيناها بالدموع. سمعت طرقاً على الباب.

- يود السادة التحدث إليك سيدة بادولوس.

في صوت ماريا شيء من الخوف، ثم عمَّ الفضول نظرتها وهي تلحظ دلائل الدموع على وجه كيرا.

- أنا؟

خرجت صيحة الاستغراب قبل أن تستطيع منعها.. لكنها استردت جأشها بسرعة، وهي تقول لماريا إنها ستنزل بعد بضع دقائق.

ماذا يريدون منها؟ هزت رأسها بارتباك، وتقدمت تغسل وجهها، وتضع قليلاً من اللون على خديها وفمها.

نهض الرجال الثلاثة عندما دخلت إلى غرفة الاستقبال. كان الجميع ينظرون إليها باستغراب وهي تتحرك في الغرفة لتأخذ كرسياً قرب زوجها. جلس الرجال.. كان الجو متوتراً، وأصبحت كيرا جزءاً منه.

قال اندريا:

- لقد اكتشفنا أن شخصاً كان هنا، كيرا.

قاطعه أحد الرجلين بثبات واحترام:

- نعتقد أن شخصاً دخل إلى هذا المنزل سيدة بادولوس.. لكننا لم نتأكد من هويته.. المفتاح الذي يملكه زوجك.. مفتاح المكتب الذي سرق محفوظ في خزنة مقفلة في مكتبته. وقد سرق المفتاح من الخزنة حيث نسخ عنه نسخة بالشمع.

أتسمع؟ هذا مستحيل، لا يدخل أحد إلى هنا. ماذا يعني هذا كله؟ ولماذا يذكرونه أمامها؟

- أخبرنا زوجك أنك أضعت مفتاح الباب الأمامي.. هل أنت قادرة على إيجاده؟

انتفضت.. لقد نسيت كل شيء عن المفتاح. لم تفت انتفاضتها

عيون الرجال الثلاثة الشاخصة إليها. تورد وجهها بسبب تحديقهم إليها.

تمتمت متلعثمة: «سأتحقق من الأمر. قد يكون في إحدى الحقائب!»

هز أحد المفتشين رأسه، فوقفت لتترك الغرفة. المفتاح.. إنها لم تستخدم أية حقيبة غير هذه مؤخراً.. كان تجاوبها آلياً في إفراغ محتوياتها على السرير. ثم فتشت جيوبها.. ولكنها لم تجده فيها، أو في أحد الأدراج.. سيطر الخوف عليها. خشيت أن تعود إلى غرفة الاستقبال، لذا أخرت نزولها بالوقوف قرب النافذة، تنظر إلى المرجة الغربية.

تحوّل انتباهها بسرعة نحو طيف يسير الهويناء.. إنه داندليون الذي كان ينظر إلى طريق الڤيلا الداخلي.. أيرى سيارة الشرطة؟.. داندليون!

عرفت الآن متى استخدمت المفتاح لآخر مرة. فكرت في ما فعلته بعدما أدخلت داندليون إلى المنزل ذلك المساء.

همست لنفسها: أنا واثقة أنني أعدته إلى الحقيبة.. لكن، هذا مستحيل. فأين هو إذن؟

أوضعته على طاولة أو مقعد؟ أيكون داندليون وهو ذاهل الفكر كعادته، قد التقطه ووضعه في جيبه؟ إن كان الأمر هكذا، فلا شك أن أحدهم سرقه منه.. غادرت المنزل من باب جانبي وركضت عبر الطريق الريفية وراء داندليون الذي دخل إلى حديقته قبل أن تقترب منه.

التفت داندليون وعلى شفتيه ابتسامة. كانت العينان الزرقاوان الكبيرتان تتساءلان وهو ينتظر اقترابها منه.

شهقت وهي تأخذ نفساً عميقاً:

- داندليون.. أتذكر الليلة التي دعوتك فيها إلى منزلنا لتناول الشراب؟

- لا أستطيع نسيانها عزيزتي.. لقد جعلت رجلاً وحيداً سعيداً.. وأنا..

قاطعته بنفاد صبر، خائفة أن يصعد زوجها إلى غرفة النوم ليتفقدها وليرى ما الذي يؤخرها.

- مفتاح الباب.. لم أجده داندليون. ومن المهم أن أجده الآن!

توقفت تلتقط أنفاسها..

- لقد استخدمته تلك الليلة، ولم أستخدمه ثانية، لا بد أنني وضعته في مكان ما، وأتساءل إن كنت عن غير قصد وضعته في جيبك؟

نظر إليها نظرة غريبة: لا أظن هذا.. هل من خطب؟

- أجل.. أجل..! أرجوك داندليون، اذهب وفتش في جيوبك!

- بالتأكيد عزيزتي!

لاحظت أن في تصرفاته شيئاً غريباً، لكن بشكل غامض.

- هلا أخبرتني ما هو هذا الطارىء؟ لقد شاهدت سيارة الشرطة أمام منزلكم.

تأوهت: «أرجوك داندليون لا تسألني شيئاً.. اذهب فقط وابحث عن المفتاح!»

لم يتحرك نحو منزله: «يريد الشرطة المفتاح؟».

صرّت على أسنانها.. لماذا يثير هذا الرجل أعصابها؟ لماذا لا يفعل ما طلبته منه؟

قالت بإذعان: «أجل هم يريدونه».

نظر إليها بريبة من أعماق عينيه الزرقاوين.

- حسناً عزيزتي.. سألقي نظرة ولكنني واثق أنني لم ألمس

المفتاح.. هل وقعت سرقة ما؟.

تأوهت مجدداً: «المفتاح.. اذهب والق نظرة داندليون.. أرجوك!»

لا شك أن اندريا الآن في غرفتها.. حاولت بذعر أن تتصور ما يجري هناك.

دعاها للدخول: «ادخلي.. لا.. ليس إلى غرفة الاستقبال، فالجو كئيب هناك.. لا أدري لماذا هي في الجهة الجنوبية. اجلسي كيرا ريثما أذهب وأبحث في جيوبي».

تنفست الصعداء بعدما خرج أخيراً من الغرفة، أطلقت أنفاسها ببطء، في محاولة للتغلب على نفاد صبرها.. وكأنما من المهم أين تنتظر. اعترفت للمرة الأولى أن هناك شيئاً من الغباء الفعلي في داندليون. غباء شديد.. قد يكون تمثيلاً.. تمثيلاً! فجأة انخلع قلبها من مكانه. ثم تذكرت حائرة ذلك الصوت الغاضب الذي هو أبعد ما يكون عن صوت رجل أحمق مسالم.. ذلك الاحمرار على وجهه، وذلك البريق في عينيه، والقبضة المشدودة التي ذكرتها باندريا عندما يكبت غضبه.. تذكرت قلقها وحيرتها، عندما جاءت تحمل العصير ووجدته واقفاً قرب النافذة.. ادّعى أنه كان يتفرج على المكان.. أكان العصير ضرورياً، أم تراه طلبه ليبعدها عن الغرفة؟ تذكرت أن داندليون سألها كم سيغيب زوجها.. وكان يعرف أن الجو خال ليلتي الثلاثاء والأربعاء.. عبست كيرا.. ولكنها هي وماريا قد تشعران بدخول أحدهم؟ لكن غرفة ماريا بعيدة، إنها خلف المطبخ.. وغرفتها هي بعيدة كثيراً عن مكتبة اندريا.. هزت رأسها. لا يبدو من الممكن أن يكون داندليون لصاً.. الرجل الذي نسخ نسخة عن مفتاح المكتب المسروق.. ولكن كل الدلائل تشير إليه.. انقطعت أفكارها عندما سمعت صوت المفتاح يدور في القفل. هرعت في الغرفة تشد

المقبض.

- أخرجني من هنا! ما هي الفكرة؟

- ذلك الزوج اللعين قادم! أكرهه! إنه معتقد النفس بثرائه الذي يحصل عليه بسهولة! أكرهه..

صاحت: «أنت مجنون!»

وكان النتيجة هرج ومرج. ضرب داندليون قبضة الباب بيده.

- لقد ارتاب بي فترة.. أحسست بهذا ولكنه لن يرسلني إلى السجن.. أبداً!

صاح صوت نافد الصبر:

- أين زوجتي.. لقد جاءت إلى هنا، رأيتها تركض عندما صعدت إلى غرفتها لأرى ما الذي يؤخرها. لا تنكر أنها موجودة.

ارتج خشب الباب مرة أخرى:

- أجل.. إنها هنا، في هذه الغرفة.. ولن تستعيدها سالمة حتى نتكلم، ونتفق على ما يناسبني.

- إذن تعترف أنك اقتحمت مكتبنا؟

ران صمت رهيب، قال بعده داندليون:

- إن ذهبت إلى البوليس أدنت زوجتك أيضاً.. إنها لصة محتالة، لقد أخبرتني كل شيء عن حياتها وعن شريكتيها وكيف كن يخطفن الأثرياء طلباً للفدية..

صاحت كيرا من الداخل: «أنت كاذب! اندريا لا تصدق كلمة مما يقول!»

لسع الصوت البارد أذني كيرا: تابع وست.

استولى يأس رهيب عليها.. لن يصدق اندريا انها ساعدت داندليون في جريمته. لكن مثل هذا الاستنتاج أمر طبيعي.. أصغت إلى داندليون وهو يعيد سرد كل ما أخبرته به.

- لقد ساعدتني في هذا العمل. أعطتني المفتاح لأدخل المنزل عندما تكون مع ماريا في الخارج. أخبرتني أنهما ستخرجان..

صاحت من الداخل مجدداً:

- لم أفعل هذا! لا بد أنك تجسست علينا، كما كنت تتجسس على كل تحركاتنا دائماً.. أرى هذا الآن!

تجاهلها: أخبرتني أن مفتاح المكتب في الخزنة.. لم أجد صعوبة في فتحها. على فكرة أنصحك أن تتخلص منها. كانت خزنة المكتب أصعب منها ولكني تمكنت كوني لصاً محترفاً من فتحها.. ولقد تعاملت بنجاح مع الكثير من الأقفال المعقدة من قبل.. والآن بادولوس.. هل نتحدث لنتفق؟

ران صمت آخر.. ثم:

- وهل تظن أنني أستطيع عرقلة سير العدالة؟

قال: «ليس بسبب زوجتك.. فأنت لا تحبها.. هذا واضح إن نظرنا إلى ظروف زواجكما».

- وهل أسرت زوجتي لك بهذا أيضاً؟

- لقد أسرت لي بكل شيء.. كنا نخطط للسرقة.. تذكر.

صاحت: لم نكن! آه.. اندريا، أتوسل إليك، لا تصغ إليه!

ليتها أصغت إلى زوجها عندما منعها من زيارة داندليون! ليتها لم تتحداه!.. ولكن فات وقت الندم فبسبب حماقتها تدمرت حياتها.. آه، الآن لن يتمكن اندريا أبداً من مسامحتها. لقد أفضت بسرها إلى هذا المخلوق البغيض الذي كان يكره اندريا دائماً.

كان صوت اندريا يكرر قول داندليون:

- أنت وكيرا خططتما للسرقة؟ تقول إنها أعطتك المفتاح؟

- صحيح.. هكذا ترى أنها ستدان معي إن عدت لتجلب الشرطة إلى هنا.. فهل أنت مستعد لتحمل العار ولتعريض حياة أمك

للخطر؟

سخر اندريا: «يبدو أنك تعرف عني كل شيء».

- بالتأكيد. أخبرتني كيرا بكل شيء.

- ماذا تريد؟

انسلت ضحكة انتصار من الرجل:

- بإمكانك أخذ زوجتك معك إذا وعدت ألا تذكر شيئاً عن شكوكك أمام الشرطة.

- سيكون هذا تصرفاً إجرامياً مني.

- ومن سيعرف؟ على فكرة، أريد الاحتفاظ بالمال.. وستعوض عليك شركة التأمين.

ارتدت كيرا لدى سماعها قرع خفيف على النافذة، نظرت فإذا ويا للغرابة تجد مربيتها واقفة هناك.

رفعت كيرا يدها إلى فمها، تسكت بنجي التي كانت تحاول الكلام.. كانت النافذة محكمة الإقفال، ولا فرصة أمام كيرا لتفتحها.

شهقت كيرا بعدما استفاقت من ذهولها، وتكلمت بصوت خفيض:

- حبيبتي كيف وصلت إلى هنا؟

فهمت أمها ما قالت:

- جئت قبل باولوس بيومين.. ما الذي يجري هنا؟ دققت الجرس ولم يرد أحد.. أليس شغالاً؟ تعالي وافتحي الباب لي.

وضعت كيرا فمها على الزجاج وسألتها مجدداً كيف وصلت إلى هنا.

- قلت لك، جئت قبل..

قاطعتها كيرا: «لكن، لماذا أنت هنا.. في هذا المنزل؟»

- لأنه منزلك. كيرا هل من خطب؟ لماذا لا تخرجين من هنا؟

- منزلنا؟ ظننت أنه منزل زوجي؟

- هنا أنزلني سائق التاكسي.. كان معي راكب آخر.. هذا أرخص لكلينا. كان الراكب الآخر متوجهاً إلى القرية الأخرى.

قاطعتها كيرا مجدداً: «دعك الآن من هذا».

تابعت تشرح باختصار قدر المستطاع.

- وجودك هنا معجزة، لكن لا تطرحي المزيد من الأسئلة.. افعلي فقط ما أقوله لك، اذهبي إلى المنزل المجاور واحضري رجلي الشرطة إلى هنا.

هزت بنجي رأسها:

- كيرا حبيبتي.. أنت تلقين بنفسك دوماً إلى المآزق. يجب أن أطلب من زوجك أن يراقبك باستمرار..

قالت بسخط: «حبيبتي.. افعلي ما قلته لك!»

أجل.. كانت معجزة لأن بنجي أخطأت المنزل. هذا ما كان يقوله اندريا بعد ساعتين متسلياً، وهو يجلس مع كيرا على أريكة في غرفة الجلوس، فضحكت:

- قلت هذا ست مرات حبيبي.

لم تصدق أن كل شيء على ما يرام بينها وبين زوجها، ولكنه كان متفهماً ومسامحاً.. خاصة عندما شرحت له أنها أفضت بأسرارها إلى داندليون بسبب سيلڤيا.

- كنت خائفة أن ترغب في الزواج بها.. لذا تحدثت إليه طلباً للراحة.

- لم يكن هناك حاجة للخوف.. يا غالية.. لأنني أحببتك منذ وصلت.

قالت نادمة: «ليتني كنت أعرف.. لم أفكر إلا في احتمال عودة

شملكما.. احتجت إلى محبة فلم أجد غير داندليون..»

قرّبها اندريا إلى جسده القوي.. وأصمتها بعناقه. نظرت إليه بعينين حالمتين. كان وجهها يشع بمزيج من السعادة، والعرفان بالجميل، وعدم التصديق. قالت:

ـ كانت مخاطرة كبيرة..

ـ أجل حبيبتي.. بل هي أقرب ما تكون من المعجزة.

ضحكت مجدداً: «لم أصدق عيني عندما رأيت بنجي.. أليست حبيبة عزيزة؟»

ـ بكل تأكيد أعترف أنها كذلك.

اتهمته بأنه يمازحها.. وسألته ما إن برزت فكرة إلى رأسها:

ـ هل كنت فعلاً تفكر في تنفيذ إنذار داندليون؟

ـ كيرا.. حلوتي.. لا تسأليني هذا السؤال.. فأنا لا أعرف ما كنت لأفعل. منعني إحساسي بالشرف من الإذعان لإنذاره.. لكن كان عليّ من ناحية أخرى التفكير فيك وفي أمي.. مع أنني فكرت في أمي أكثر مما فكرت فيك لأنني كنت أعرف أنك بريئة.. كان ما فعلته قوة شخصية فقط.

ـ بل قل تحدياً غبياً! أجل. أنا آسفة اندريا.. كان عليّ أن أعرف أن عندك عذراً مقبولاً.

ـ شككت فيه وأعرف أن كل تلك الحماقة التي يظهرها مجرد دور يمثله.. وكان واضحاً لي أن حاجبيه زائفين وأنهما جزء من التنكر الأحمق.

ـ أردت أن أضحك عندما أمسكه الشرطي وسقط أحد حاجبيه! ولكن، لم يكن الوقت مناسباً للمرح. طالما ظننت نفسي ذكية، ولكنني كنت حمقاء أمام داندليون.. شعرت بالشفقة عليه، حتى فكرت في إيجاد زوجة له.

تنهدت.. فابتسم اندريا لها، وقال بعد صمت قصير:

ـ اعتبرته في البداية مسالماً.. لكنه بالغ بغرابة أطواره كثيراً حتى شككت فيه. لم أعرف أنه مطلوب من العدالة، وأن غرابة أطواره جزء من تنكره.. كان ذكياً بتمثيله دور الأحمق لجذب اهتمام الناس لأن المجرمين يتجنبون البروز.

ـ لكنك ارتبت به.

ـ شككت في استقامته.. وشك فيه الشرطة المحلية.. لأنهم اكتشفوا صدفة أن وست ليس اسمه الحقيقي. حياه أحد معارفه أو شركاءه صدفة عندما وصل إلى المطار باسم بروسل.

ـ وهل أخبرتك الشرطة بذلك؟

ـ نعم وطلبوا إليّ أن أراقب وست لأقدم تقارير عنه.. ولكنني كنت مشغولاً بأشياء أخرى.

تذكرت كيرا غضب داندليون وهو يتحدث هاتفياً، وتساءلت عما إذا كان يؤنب شريكه الذي ارتكب الغلطة.. ولكنها لن تعرف هذا.. لقد انتهى كل شيء ومضى، فهي واندريا قد أوضحا كل الغموض بينهما، وأجليا سوء التفاهم الذي مرا به في الأسابيع الأخيرة.

تراءت لها الأفكار مجدداً، وسألت:

ـ اندريا.. على اليخت.. أعرفت ماذا تريد أن تفعل بي؟

ـ ماذا أفعل بك؟

ـ أعني.. العقاب؟ شعرت بأنك ندمت على حملي إلى متن المركب، لأنك بذلك لم تعد تعرف ما تفعل بي.

ضحك، ثم اعترف أنه ندم فعلاً على استجابته لغضبه وتهوره. أضاف: «أما الآن فأنا غير نادم».

ارتدت لتندس بين ذراعيه: اندريا..

على عتبته.

- آه، هل أعود فيما بعد؟

ضحك اندريا الذي رفع رأسه:

- أجل إن لم يكن ما جئت لأجله مهماً.

احتجت كيرا: «اندريا.. بنجي ضيفتنا المبجلة!»

دخلت بنجي إلى الغرفة تنظر إليهما.. كانا قد أخبراها شيئاً من القصة ما يكفي لإرضاء فضولها وليقنعها إن محبوبتها كيرا سعيدة بزواجها.

- الأمر مهم فعلاً اندريا..

- حسناً.. اجلسي ولنستمع.

- إنها كيرا.. تعرف أنها ذكية وبارعة في زج نفسها في المآزق

التوت شفتا اندريا:

- سيدة تاكاليس.. لقد قمت بأخطر تصريح لهذه السنة. إنها ليست ذكية فقط، بل نابغة!

- حسناً، كنت أفكر.. هل تعدني بأن تراقبها؟ سيطمئن بالي لو وعدتني.

رد بوقار: «لن أتركها تغيب عن ناظري لحظة».

ومضت عينا بنجي ضحكاً:

- أنت تمزح.. أرى هذا. على أي حال، يجب أن تراقبها.. فهي صاحبة أفكار غير عادية وأنا أكره أن تجد نفسها في ورطة مجدداً.

قاطعتها كيرا ضاحكة:

- حبيبتي بنجي.. لقد انتهيت من المغامرة إلى الأبد.. أيرضيك هذا؟

ابتسمت مربيتها بسعادة:

- حبيبتي؟

- كنت تقول عندما قاطعتك، أنك عرفت أنني بريئة. فكيف عرفت في الوقت الذي كان فيه داندليون يعطيك الدليل القاطع.

- قال إنك أعطيته المفتاح.

رفعت رأسها: «حسناً؟ وماذا في هذا؟»

- لو كان متآمراً معك.. لما أعطيته المفتاح بل لأدخلته بنفسك إلى المنزل، فلا نخاطر بذلك بدخول غير قانوني.. إنها الزلة التي أثبتت براءتك، حبيبتي.

ارتجفت وهي تلتصق به.. وقالت متنهدة: إنها معجزة..

صمتت تشاركه ضحكه:

- آسفة حبيبي، أنا لا أبتكر الكلمات اليوم صحيح؟

وافقها الرأي، لكنه أضاف بشيء من المرح:

- أنت تعانين ضغطاً عاطفياً قوياً.. لذا أفهمك.

استراحت عليه مجدداً، وطرحت سؤالاً كانت تريد أن تطرحه منذ زمن.

- هل أحببت سيلڤيا حقاً؟

بعد تردد قصير، قال بعفوية:

- لا أظن هذا، كما أنها لم تكن تحبني. اعترفت لي منذ البداية أنها أرادت الزواج من أجل المال. وأعجبتني صراحتها.. كانت جميلة أيضاً.. كما أن أمي كانت تصر على زواجي لترى أبنائي.. وكنت أنا نفسي قد بدأت أفكر في أنه حان وقت الزواج، وبدت سيلڤيا مناسبة.

وهذا كثير عليها. امتلأت كأس سعادتها حتى الشمالة.. كانت مترددة فقط بشأن مشاعره نحو سيلڤيا.

كان اندريا يعانق زوجته بشغف عندما انفتح الباب ووقفت بنجي

- أجل عزيزتي.. يرضيني. هلا عذرتماني الآن، سأعود إلى غرفتي لأنهي إفراغ حقائبي.

نظر اندريا بحنان إلى عيني زوجته بعدما انغلق الباب، وأمسك بوجهها بين يديه يعانقها بشوق.

- لم تنته المغامرة بعد.. لقد بدأت لتوك في مغامرة ستستمر إلى آخر عمرك.

تمتمت: مغامرة الحب.

وأحست بقلب زوجها يخفق بجنون تحت أذنها.

* * *